كتاب

سلوان المطاع في عدوان الاتباع

تاليف الشيخ الامام العالم العلامة حجة

الدين ابي هاشم محمد بن ابي محمد بن

ظفر غفر الله لمولنا وللمسلمين

اجمعين وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه وسلم

طبع بمطبعة جمعية الفنون في بيروت سنة ١٣٠٠



اخبرنا القاضي الفقيه الخطيب نجم الدين عز القضاة فخر الحكام ابو البركات محمد بن علي بن محمد الانصاري الموصلي الحاكم والخطيب بمدينة اسيوط احسن الله توفيقه بقرآءتي عليه في المحرم سنة احدى وتسعين وخمسماية قال اخبرنا الشيخ الامام العلامة حجة الدين ابو هاشم محمد بن ابي محمد بن ظفر بقرآءته عليه من اصله بخطه بثغر حماه صانه الله وحماه في شهر رجب من سنة خمس وستين وخمسماية قال ان شكر الله سبحانه لاسنى الملابس الفاخرة · وان حمده لاعوذ مجيري الدنيا والاخرة · فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا . والمكروه كمينا . الذي ضرب دون اسرار

الاقدار حجابا مستورا . وقضى ان الخير على الفطن لايزال محجرا محجورا .
واوطاء المستسلمين لمشاياه مهدا وثيرا . واعطى المتبرمين بقضاياه كنودا
عثورا . وقال سبحانه وتعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا . وصلى الله على السيد المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا . سيدنا محمد المصطفى وسلم تسليما كثيرا . وبعد
فان ما افضى بي اليه اضطراب الاغتراب . وانتياب الاكتئاب . ان
اظفرني الله سبحانه وله الحمد بمواخاة مقبل عثرات السادة السراة . ومسبل
انعم الحسنة حسرات . سائد السادة . وقائد القادة . ابي عبد الله محمد بن
ابي القسم بن علي بن علوى القرشي . بارك الله له في ما الهمه كسبه . وكان
وليه وحسبه . فلقد انزل الدنيا بدرك منزلتها . وكوشف بشرك مذلتها .
فعمل للبقاء لا للفناء . وجمع وجاد لله لا للثناء . وآخى للتعاون على البر
والتقوى . لا للتهافت في هوي الهوى . وزان الرياسة بنفس لا تضيق
بنازلة ذرعا . ولا تصغي الى الوشاة سمعا ولا تدنس بطبع طبعا . وبحلم لا يرفع
الغضب لديه راسا . وحزم لا تخاف الأيالة معه باسا . فالحمد لله الذي
اباحني من اخائه حمى منيعا . وحرما امينا ومرتعا مريعا . ووردا معينا .
وورد اينيعا

فنحن بقربه فيما اشتهينا ... واحببنا وما اخترنا وشينا
يقينا ما نخاف وان ظننا ... به خيرا اراناه يقينا

نميل على جوانبه كانا — اذا ملنا نمل على ابينا
ونغضبه لنخبر حالتيه — فيظهر منها كرما ولينا

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي . وحق مرعي . لاقررت عينه نطي ما اشترت . والتوربة مما اليه اشرت اذ كانت وقاني الله بعده . ولا ابقاني [illegible] من خواص اوليائه ذنوب . فلا زالت [illegible] الرشق له [illegible] وخطوب الشرائب عنه [illegible] ومكانة العلا به فاخرة . ومكايد الاعداء عنه داحرة . امين امين امين . وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الامين . وعلى آله وصحبه الاكرمين . وسلم عليه وعليهم في العالمين . (ولما كانت) الهدايا تزرع الحب وتضاعفه . وتعضد الشكر وتساعفه . احببت ان أهدي اليه هدية فائقة رائقة . تكون عنده نافقة . وبقدره لائقة . فلم اجد ذلك الا العلم الذي [illegible] والحكمة التي لم يزل بها صاحبها صبا . والادب الذي استوعب [illegible] [illegible] استغرق طلابا وتملا . فاتحفته باساليب الغاية . في احكام [illegible] كتاب [illegible] مسالكها الى العلم بالظاهر والمستند من قول الله [illegible] اذا قمتم الى [illegible] الآية ثم شفعته بالمسمى لاستشفاق المعونة والاشراف . وهو كتاب استوعبت فيه مسائل ذينك التاليفين الشريفين مشفوعة بنخب براهينها وعززتها بدرر الشرر . وهو كتاب انتظمت به درر أنباء

نجباء الادباء . واودعته منها ما عز مطالبه . و بهرت حكمته . وحسن ادبه
ثم رمت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت فيه الى امثلة استاثر خواص
الملوك ببضاعتها ومنعتهم الغيرة عليها من اذاعتها . فتوسعت بالتعبير
الناظي عليها والتجويد ماي لها . والزمني بقوى فطنتي فيها . توسعا
لا يحظره شرع . ولا ينبو عنه سمع . حتى اذا عادت اهلتها بدورا رائعه .
وآنست ودبها ثمارا يانعه . نفثت في صورها ارواح الاخلاق الزكية .
وكسوت جسومها حلل الاداب الملوكيه وتوجت رؤوسها بتيجان الهمم
الابيه . وقلدت عواتقها سيوف الكنايات الغريبه وصدرتها بآي من
التنزيل المحكم . واحاديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . الى مايلي
ذلك من منثور الحكم وموزونها . وابكار الاداب وعونها . فبرزت روضة
القلوب والاسماع . ورياضة للعقول والطباع . (وسميتها) . سلوان
المطاع . في عدوان الاتباع . والسلوان جمع سلوانة . وهي خرزة تزعم
العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحبوب سلا قال الراجز

لو اشرب السلوان ما سليت ✿ ما بي غنى عنكم وان غنيت

وهي خمس سلوانات (السلوانه الاولى) في التفويض (والسلوانة
الثانية) في التاسي (والسلوانة الثالثة) في الصبر (والسلوانة الرابعة) في
الرضى (والسلوانة الخامسة) في الزهد وانا ارغب الى الله سبحانه في الامداد
بالسداد والارشاد الى نفع العباد فبه الحول والمكنه . وله الطول والمنه

السلوانة الاولى

(وهي سلوانة التفويض) قال ربنا تقدس اسمه فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال تقدس اسمه وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه وافهمهم ما يرضاه من التفويض اليه فالعاقل تارك الاقتراح على العالم بالصلاح ووجه افهام الندب الى التفويض من هاتين الآيتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لايامن المضرة بالمسرة ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير الله ولايختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله صرف البلاء واللطف في مكروه القضاء (وبهذا) عامل الله سبحانه مؤمن آل فرعون حين فوض امره الى الله وذلك مابلغنا انه كان من ذوى قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه موسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم وعطفته على ذلك المؤمن القرابة ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يد موسى عليه السلام بحضرة فرعون جمع فرعون بطانته ووزراءه وفيهم ذلك المؤمن فشاورهم في امر موسى فاتفقوا على ان الراى مطاولة موسى عليه السلام وجمع السحرة لمقاومته وكان راى فرعون معاجلة موسى بالقتل في بدء [illegible] تقدس اسمه فقال تعالى قالوا ارجئه واخاه وارسل

في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقال عز من قائل وقال
فرعون ذروني اقتل موسى الآية (ولما) اطلع وزراء فرعون على رايه في
موسى عليه السلام امسكوا عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك المومن ان
يبطش فرعون بموسى عليه السلام فعيل صبره وضاق بسوء صدره فقال
ما اخبر الله به عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من
ربكم ثم كانه استقال وراجع التقية والحذر والتورية فقال ما اخبر الله عنه
فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فلما سمع فرعون مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور بطانته في امره
فاشاروا بان يبسط العذاب عليه ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه
فكره ذلك فرعون وعطفته عليه القرابة وامر وزراءه ان يصيروا الى
ذلك المومن ويعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعه ماكان عليه من الطاعه
ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا ذلك فلما سمع المومن مقالتهم دعاهم الى الله
واذكرهم ماعاينوه من الآيات وحذرهم زوال نعمة الله عنهم وحلول مكره
بهم وكان منه اليهم معنى ما اخبر الله عز وجل عنهم من قوله ياقوم اني
اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الآيه وقوله ياقوم اني اخاف عليكم يوم
التناد الآيه وقوله ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات وقوله ياقوم
مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار الى قوله فستذكرون ما اقول لكم
وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فعاد القوم الى فرعون

واخبروه عن المومن شبوته على المشاققة والمنابذة والمعصية لفرعون وان النصح لابريك الا تماديا على امره فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا فيه فاتته ابنته فسالته عن امره فاطلعها عليه فقالت له ان عندي الفرج مما انت فيه فلا تعجل خاصتك وذوي قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما راى موسى قد امتنع بالسلطان الذي في عصاه وان قتله مجاهرة غير ممكن تظاهر بما انكرته عليه ليخدع بذلك موسى ويتمكن من مداخلته وقتله غيلة فكلما رايت وسمعت انما هو مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم اهل نميمة وحسد وبغي لم يطبعوا على مثل وفائه ونصحه فسر فرعون بمقالتها والقى في نفسه تصديقها فيقال ان آسية امراة فرعون هي التي امرتها بذلك فاحضر فرعون ذلك المومن فاعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت ما انت قاصد اليه ومائل فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل ما بدا لك ان تفعله [illegible]
قال الله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا فهذه الوقاية هي ثمرة ذلك التفويض ثم قال ربنا تقدس اسمه وحاق بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك المومن من التعذيب وان كان عذابه الآخرة لم [illegible] مع عذابهم الدنيا الا في [illegible] وهذا كقوله سبحانه وتعالى ولا يحيق المكر السيء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الارض [illegible]
[illegible] [illegible] وهو الذي [illegible] الله [illegible] [illegible] شهد [illegible] [illegible]

عليه وسلم بقوله قل لن يصيبنا الاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون فأس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لايكون من الخير ولامن الشر الاما اراد الله كونه ولايصح التفويض مالم يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ماقدر ياتيك ومالم يقدر لم يأتك واعلم ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك بشيءٌ لم يكتبه الله عزوجل لك لم يقدروا على ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ماقدر ياتيك الى اخر الكلام بيان العلة التي من اجلها فوض العقلاءٓ وسلموا الى الله عز وجل ونحو ذلك مارويناه في مسند مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة في كلام قال له وان اصابك شيءٌ لاتقل لو فعلتُ كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاءٓ فعل فان لو يفتح عمل الشيطان فدله على التفويض الى الله والتسليم لامره ونهي عن قول لو لما كانت تنافي التفويض الي الله وتقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع مشيئته ومما رويناه في صحيح مسلم عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضجع على شقك الايمن ثم قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك لامنجأ ولا ملجأ منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت

و .يك الذى ارسلت الحديث (اسجاع) وابيات في التفويض ·
معارضة العليل طبيبه · توجب تعذيبه · انما الكيس الماهر · من استسلم
لقبضة القاهر · اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة · فمن اعوان نفوذه الحيلة
اذا التبست المصادر · ففوض الى القادر · ان من الدلالة على ان
الانسان مصروف مغلوب · ومدبر مربوب · ان يتبلد رايه في بعض
الخطوب · ويعمي عليه الصواب المطلوب · فاذا كان ذلك فان
تدميره في تدبيره . واغتياله في احتياله · وهلكته في حركته ·
(قيل) كان الحجاج بن يوسف اذا تعارضت آراؤه في خطب من
الخطوب انشد

دعها سماوية تجري على قدر   لاتفسدنها برايٍ منك منكوس

وقلت في ذلك

ايامن يعول في المشكلات   على ما رآه وما دبرهْ
اذا اشكل الامر فابرأْ به   الى من يرى منه مالم ترهْ
نكن بين عطف يقيك المخوف   ولطف يهون ما قدرهْ
اذا كنت تجهل عقبى الامور   ومالك حول ولا مقدرهْ
فلم ذا العنا وعلى مَ الاسى   ومِمَّ الحذار وفيما الشرهْ

وقلت فيه ايضا

يارب مغتبط ومغ   بوط برأى فيه هلكهْ

ومنافس في ملك ما يشقيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
فكن امرأً محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
ومعارض الاقدار بال أراسيّ الحال ضنكه
تفويضه توحيده وعناده المقدور شركه

(روضة رائقه . ورياضة فائقه)

لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ان ابن عمه يزيد بن الوليد ابن عبد الملك قد اوغر عليه الصدور وشرد عنه القلوب واستجاش اليمن عليه ونازعه رداء ملكه ساعيًا في هلكه استوحش من بطانته واحتجب عن سماره فدعا في عشية من عشايا وحشته خادما له فقال له انطلق متنكرًا فقف ببعض الطرق وتامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيأة والملبس يمشي مشيًا هونًا وهو مطرق فسلم عليه وقل في اذنه ان اميرالمؤمنين يدعوك فان اسرع الاجابة فاتني به وان تلكأ اوعارض واستراب فدعه واطلب غيره حتى تاتيني برجل على هذا الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه برجل على هذا الشرط فلما دخل الكهل على الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلافة وقام فامره الوليد بالدنو وبالجلوس وامهله الى ان ذهبت روعته وسكن جاشه ثم اقبل عليه فقال له اتحسن مسامرة الخلفاء فقال الكهل نعم احسنها يا امير المؤمنين فقال

له الوليد ان كنت تحسن المسامرة فاخبرنا عنهـا ماهي فقال الكهل للسامر اخبار لمنصت وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يعجب و يليق فقال له الوليد احسنت ايها الرجل لاازيدك امتحانًا فقل ننصت لقولك فقال الكهل يا امير المومنين ان المسامرة صنفان لاثالث لهـا احدهما اخبار بما يوافق خبرا مسموعًا والثاني اخبـار بما يوافق خبرا مقترحًا واني لم اسمع بحضرة امير المومنين حديثًا فاحذو على مثاله ولا اقترح علي امير المومنين سلوك طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال له الوليد صدقت وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسمًا لتقتفيه (انا بلغنا) ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يصم ملكنا فاثر سعيه وشق ذلك علينا و بلغ منـا فهل نمى ذلك الى علمك فقال الكهل نعم فقال الوليد قل الان على حسب مانمى اليك منه وعلى حسب ماترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير المومنين انه بلغنى ان امير المومنين عبد الملك بن مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله ابن الزبير وخرج بهم متوجهًا الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو ابن سعيد بن العاص وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نيـة وفساد طوية وطماعية في نيل الخلافة وكان امير المومنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه كان يبقي عليه لتاكد حرمته واوصر رحمه فلما فصل امير المومنين عن دمشق وسار عنها اياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد فاستاذن امير المومنين عبد الملك في العود الى

دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد المنبر فخطب
الناس خطبة نال فيها من الخليفه ودعا الناس الى خلعـــه فاجابوه الى
ذلك و بايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وحمى عورتها وســد
ثغورها وبذل الرغائب فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان وهو متوجـــه
الى ابن الزبير و بلغه مع ذلك ان والي حمص قد نزعَ يده من الطاعـــة
وان الثغور قد تشوفوا للخلاف عليـه فخرج على وزرائه وبيده مخصرة
يضرب بها عطفه فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملكنـــا
قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على
الحجاز والعراق ومصر واليمن وخراسان وهذا النعمان بن بشير امير حمص
و زفر بن الحارث امير قنسرين وناتل بن قيس امير فلسطين قـــد نزعوا
ايديهم من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل الثغور
للخلاف وهذه المضريه سيوفها على عواتقها تطالبنـــا بقتلى المرج فلما سمع
وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا ان لا مفر فنكسوا رؤسهم ولم ينطقوا
فقال لهم عبد الملك لمَ لا تنطقون احضروا غنـاءكم فهذا وقت الحاجة
اليكم فقال له افضلهم اي غناء عندنا في هذا وددت والله اني كنت حرباء
على عود من اشجار تهامه حتى تنقضي هذه الفتن (قال الامام حجة الدين
ابو هاشم محمد بن ظفر عفا الله عنه الحرباء دابة صغيرة طولها اقل من
شبر لها قوائم اربع وراس يشبه راس العجل اذا طلعت عليها الشمس قامت

على عود او جرثومة او حجر استقبلت الشمس بعينها وجعلت تراعيها ولا تصرف بصرها عنها حتى تستوي الشمس في اعلى فلكها فتصير على راس الحرباء ولا يمكنها النظر الي الشمس فتقلق وتضرب بلسانها حنكهـا كما يفعل من يسوق حمارا ولا تزال كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربهـا فاذا غربت ذهبت الحرباء تبتغي ما تاكله ليلتها حتى اذا طلعت الشمس عادت لفعلها فتمنى هذا الرجل ان يكون حرباء فرارا من تلك الفتن) قال الكهل فلما سمع الملك مقالة صاحبه علم ان لا غنى عند وزرائه فقام عنهم وامرهم بلزوم موضعهم وركب من فوره منفردا وامر جماعة كثيفة من شجعان قومه وفرسانهم ان يركبوا في السلاح و يتبعوه مبتعدين منه بحيث يرون اشارته ان اشار لهم ففعلوا ذلك وسار عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم لهم فلم يزل سائرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم سيء الحـال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديث خفيف ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا العسكر فقال الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضـع كذا فقال عبد الملك هل سمعت شيئًا مما يقول الناس في امره فقال الشيخ ما سوالك عنه فقال عبد الملك اني اردت اللحاق به والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما معناه اني اراك اديبًا وضيًا واحسبك حسيبًا سريا فهل تحب ان انصح لك فيما انت قاصده فقال

عبد الملك ما احوجني الى ما تقول فقال الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف
نفسك عن هذا الامر الذي ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده
قد انحلت عرى ملكه ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في
حال اضطراب اموره كالبحر في حال هيجانه لا ينبغي ان يقرب فقال عبد
الملك ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه
واني اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير نزاعاً شديداً ولا بد لي من ذلك
فهل لك ان تحسن اليّ فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامير في تدبير هذه
الخطوب التي دهمته لاعرض ذلك الراي عليه وانفق به عنده فلعله ان
يكون سبباً لقربي منه (فقال) ان حكمة الله وعزته ليقضيان بحجب
العقول والآراء عن النفوذ في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة
التي نزلت بهذا الخليفه من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول ولا يهتدي الى
صواب تدبيرها الراي واني اكره ان ارد مسألتك بالخيبة فها انا اقول فيما
سألتني قولا اقضي به حق رغبتك وان كنت لا اثق بنفسي فيه لان
الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهي عظمه (فقال له) عبد الملك قل
جزاك الله خيراً فاني لارجو ان يسدد الله ويرشدني بك الى الصلاح (فقال)
الشيخ ان هذا الخليفة خرج لمحاربة عدوه فظهر من مشيئة الله سبحانه انه
لا يريد ما قصده والدليل على ان الله لم يرد قصده لمحاربته ابن الزبير انه
قطعه عن التمادي بما احدثه في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد على

مبيره واستفساده لرعيته واستيلائه على بيوت امواله وسرير خلافته واني مشير عليك بتفقد حال هذا الامير وانتظار مايكون منه فان رايته قد تمادى فيما حرج له واصر على قصد ابن الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله سبحانه وتعالى قد اظهر في حكمه امرا يقطعه عن التمادي لما خرج له فابي الاجاجه وان رايته قد رجع من حيث جاء وترك ماكان قصد له وخرج في طلبه فارج له السلامة لانه مستقيل والله سبحانه اهل ان يقيل من استقاله ويرحم من يرجع اليه (فقال له) عبد الملك ياشيخ وهل رجوعه الى دمشق الاكمسيره الي ابن الزبير اذ كان قد ظهر من حكمة الله تعالى ومشيئته ان قبض عنه قلوب رعيته الذين بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره فمصيره الى ابن الزبير كرجوعه الي عمرو بن سعيد لان كل واحد منهما حاصل على مملكة منيعه ورعيه مطيعة (فقال الشيخ) ان الذي اشكل عليك لواضح بيّن وها انا ازيل اللبس عنك ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو اذا قصد عمرو بن سعيد كان في صورة مظلوم لان عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملك لم يكن له ولا لابيه بل كان لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن سعيد عليه معتد وله مغتصب وانه كان يقال سمين

الغصب مهزول و والى الغدر معزول (وكان يقال) جيش العدو مفلول وعرش الطغيان مثلول وساء ضرب لك مثلاً يشفي النفس وينفي اللبس واودعه من فقرا لحكم مايشحذ الفطن والالباب ويسفر عن وجه الصواب (زعموا ان ثعلبا) كان يدعي ظالمًا وكان له جحر ياوي اليه وكان مغتبطًا به لايبتغي عنه حولا فخرج يومًا يبتغي ماياكله ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج وعلم انها قد اوطنته وذلك لان الحية لا تتخذ جحر او تدخل الجحر فتغتصبها وتطرد عنها ماكان فيها من الحيوان قال الراجز يصف رجلا بالظلم

وانت كالافعى التي لاتحتفر * ثم تجي شاردة فتنجحر

ولذلك قالوا اظلم من حية فهذا ظلمها ولما راى ظالم ان الحية قد اوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به الطواف الى جحر حسن الظاهر حصين الموضع في ارض خصيبة ذات اشجار ملتفه وماء معين فاعجبه وسال عنه فاخبر ان الجحر لثعلب يدعي مفوضًا وانه ورثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وادخله الجحر وساله عما قصد فقص عليه خبره وشكا اليه مانا له فرق له مفوض ثم اقبل عليه فقال له ان من الهمة ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء دفعه وهلكه . وانه كان يقال من تهيب عدوه فقد جيش لنفسه جيشا وكان يقال رب حيله انفع من قبيلـه وكان يقال

نموت في طلب الثار خير من الحيوة في العار وكان يقال اذا طلبت
لقاء عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه عنك واذا طالبته
بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك وان كان عظيما والراي عندي ان
تنطلق معي الى ماواك الذي انتزع منك غصبًا فلعلي انتهي الى وجه
مكيدة في تمكينك منه فان افضل الراي ما اسس على الروية ولهذا قيل
يفسد التدبير بثلاثة اسباب احدها ان تكثر الشركاء فيه فاذا كان
ذلك انتشر التدبير فيه وبطل الثاني ان يكون الشركاء في التدبير
متنافسين متحاسدين فيدخله الهوى والبغي فيفسد والثالث
ان يملك التدبير من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده
فاذا كان ذلك كذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الفرص ثم
ان تدبير المسموعات موسس على ظنون الخبر وتدبيرا المبصرات
موسس على يقين النظر (فانطلقا) معًا الي ذلك الجحر فتامله
مفوض وعلم ماأراد علمه من امره ثم اقبل على ظالم فقال له قد
شاهدت من امر مسكنك مافتح لي باب المكيدة وسفر لى عن وجه
الراى فيه فقال ظالم اطلعني على ما ظهر لك فقال مفوض ان اضعف
الراي ما سنح في البديهة وانه كان يقال الراي مرآة العقل فمن أردت ان
تنظر الى صورة عقله فاستشره وكان يقال افضل الراي ما اجادت الفكرة
نقده واحكمت الروية عقده وكان يقال الراي سيف العقل ولما كان امضى

السيوف مابولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان انجح الاراء ماكثر امتحانه واطيل تامله وكان يقال كل راي لم تختمر به الفكرة ليلةً كاملةً فهو مولود لغير تمام (ثم) قال له انطلق معي فبت الليلة عندي لانظر لياتي هذه فيما سنح لي من المكيدة ففعلا وبات مفوض مفكرًا في ذلك وجعل ظالم يتامل مسكن مفوض فراى من سعته وطيب تربته وحصانته وكثرة مرافقه ما اشتد به اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر الحيلة في غصبه ونفي مفوض عنه وكان يقال اللئيم كالنار اكرامها اضرامها وكالخمر حبيبها سليبها وتبيمها صريعها وكان يقال اذا كانت الاساءة طبعًا لم يملك لها الاحسان دفعًا وكان يقال العاقل يقدم التجريب على التقريب والاختبار على الاختيار والثقة على المقة (فلما اصبحا) قال مفوض لظالم اني رايت ذلك الجحر بموضع بعيد من الشجر والخضر فاصرف نفسك عنه وهلم اعنك على احتفار مسكن بهذا المكان المتيسر المرافق فقال له ظالم ان هذا لا يمكنني لان لي نفسًا تهلك لبعد الوطن حنينًا ولاتملك مع فقد السكن سكونًا وانه كان يقال دلائل الوفاء سبع برّ الاباء والامهات وصلة ذوي القرابات والنزاع الى الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب واللبس لاخلاق الثياب والصبر على هرم الدواب وكان يقال الغريب ميت الاحياء قد اعاده البين اثرا بعد عين (وقيل) ان حروف الغربة مجموعة من اسماء تدل على معنى الغربه فالغين من غيبة وغرر وغبن وغم وغلة

وهي حرارة الحزن والظما وغرم وغول وهو كل مهلكة (والراء)من رزء وروع ورعب ورنق وهو الكدر وردى وهو الهلاك (والباء) من ملوى وبؤس وبعد وبرح وهي الداهية وبوار وهو الهلاك (فلما سمع) مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة في مسكنه ووطنه قال له اني ارى ان نذهب يومنا هذا نحتطب حطبًا ونربط منه حزمتين واذا اقبل الليل انطلقت انا الى بعض هذه الخيام فاخذت قبس نار فاحتملنا القبس والحطب وقصدنا الى مسكنك فجعلنا الحزمتين على بابه واضرمناها نارا فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الجحر اهلكها الدخان فقال ظالم نعم الراى هذا فانطلقا فاحتطبا وربطا من الحطب حزمتين بمقدار ما يطيقان حمله ولما جاء الليل واوقد اهل الخيام النار انطلق مفوض لياخذ قبسًا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فازالها الى موضع غيبها فيه ثم جرّ الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض ودخله وجذبها اليه فادخلها في الباب فسده بها وقدر في نفسه ان مفوضًا اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته ولان بابه مسدود بالحطب سدا محكما فاكثر مايقدر عليه ان يحاصره واذا يئس منه ذهب فراى لنفسه مأوى وقد كان ظالم راى في جحر مفوض طعمة ادخرها مفوض لنفسه فعول ظالم على الاقتيات منها في مدة الحصار واذهله الشره والحرص والبغي عن فساد هذا الراى وانه متعرض لمثل ماعزم ان يفعله بالحية وكان يقال احترس من تدبيرك على

عدوك كاحتراسك من تدبير عدوك عليك فرب هالك بما دبر ومكر وساقط في البير الذي احتفر وجريح بالسلاح الذي شهر ثم ان مفوضًا جاء بالقبس فلم يجد ظالمًا ولا وجد الحطب فظن ان ظالمًا قد احتمل الحزمتين معًا تخفيفًا عنه وانه بادر بهما نحو جحره اشفاقًا ان ياتي مفوض فيحتمل احداها فشق ذلك عليه فظهر له من الراي ان يترك القبس ويبادر اليه فيلحقه فيحتمل معه الحطب والقى القبس من يده ثم كره ان ينفذه الريح فيحتاج الى طلب قبس آخر فادخله في باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب فاضرمه فاحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره فلما اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحًا اكثر من عمله في محتمله (ولهذا قيل) الباغي باحث على مدية حتفه بظلفه ومتردٍ في مهاوي تدميره بمساوي تدبيره (وقيل) ما اجتمع البغي والملك على سرير الا اخلا وقيل لكل عاثر راحم الا الباغي فان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه وقيل ما اعطى البغي احدًا شيئًا الا اخذ منه اضعافه ثم ان مفوضًا امهل حتى طفئت النار فدخل جحره فاستخرج جيفة ظالم فالقاها واوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد لكيد الكائدين (فهذا) مثل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد الملك ومخالفته الى دار ملكه وتحصينه فيها وقد كان عبد الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير عاملا فيما يريد به عز عمرو بن سعيد وبقاء الملك في اهل بيته وخروجه عن ابن الزبير اذ

كان عز عبد الملك عزا لعمرو بن سعيد وملكه ملكًا له فلم يرض عمرو سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل كفعل ظالم مع مفوض سواء (فلما سمع) عبد الملك ماضرب به الشيخ من المثل واستبصر فيما اودعه من الحكم سر بذلك سرورا شديدا ثم اقبل على الشيخ فقال له جزيت خيرا فقد عظمت يدك عندي واني لاوثر ان تجعل بيني وبينك موعدا وتذكر مكانك لالقاك به بعد يومي هذا فقال الشيخ فما الذى تريد بذلك فقال عبد الملك اني أؤمل ان انتفع برايك عند الامير واكافيك على ماكان منك فقال الشيخ اني اعطيت الله تعالى عهدا ان لا اتحمل منة لبخيل فقال له عبد الملك ومن اين علمت بخلي فقال الشيخ كيف لا اعلم بخلك وقد ارجات صلتي ومكافاتي مع القدرة على تعجيلها فما عليك لو وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة السنيه فقال له عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه فقال اقبل مني سيفي هذا ولا تخدع عنه فان قيمته عشرون الف درهم فقال الشيخ اني لااقبل صلة ذاهل فدعني وربي الذي لايبخل ولا يذهل فهو حسبي (فلما سمع) عبد الملك مقالته علم فضله في دينه وقال له اني انا عبد الملك فاعتمدني وارفع الي حوائجك فقال الشيخ وانا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا الى من انا وانت له عبدان فانطلق عبد الملك فعمل براي الشيخ فانجح (فلما سمع) الوليد ما اخبر به ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف ادبه وسأله عن نفسه فتسمى له

وانتسب فلم يعرفه الوليد واستحيا منه وقال له ان من جهل مثلك من رعيته لمضيع فقال له الكهل يا امير المومنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم ابوابها فقال الوليد كلاَّ والله فلا توسعنا عذرا لا نستحقه فامر له بصلة معجلة وعهد اليه في ملازمة بابه عهدا فكان يسمع من ادبه وحكمته الى ان كان من امر الوليد ماهو مشهور

(روضة رائقة · ورياضة فائقه)

(قيل) لما عزم امير المومنين محمد الأمين على اخراج عهد الخلافة عن اخيه عبد الله المؤمون كتب اليه كتابًا يذكر فيه حاجته الى لقائه ومفاوضته في مهم حدث ويسأله ان يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب الى المأمون عيونهُ الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافة ونقل عهده الى موسى ابن محمد الامين (فلما وقف المأمون) على ماكتب اخوه وعيونه اليه شاور وزرآءه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل والاعتذار بشعث خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لايجد من يثق بكفايته لامرها فكتب المأمون الي الامين بذلك فعاودة الامين بمكاتبته وانه لو قدم عليه لقل لبثه ببغداد حتى يرجع وانه يريد ان يفاوضه في خطب جسيم لايودع بمثله الكتب فحين انتهى كتابه الي المامون اطلع عليه وزرآءه واستشارهم فاشاروا عليه بمثل رايهم الاول فكتب الى الامين بنحو ما كتب اليه اولا

وكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المامون قد فطن لما يراد منه وانه
ممتنع مشاقق وان وزرآءه اجمعوا على امره بالامتناع فيئس الامين من اتمام
مكيدته لاخيه وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المامون وحرمه
وبطانته وما ظهر عليه من امواله وبلغ ذلك المامون فخامره الجزع
وشاور وزرآءه فثبتوا على رايهم وحضوه على التثبت وانتظار الفرج
ففعل ولما راى الامين اصرار اخيه المامون على الامتناع دعا الناس الى
البيعة لابنه موسى وهو طفل فاجابوه الى ذلك وبايعوا له وسماه الناطق
بالحق واستكفل له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن
عيسى بن ماهان قد ولى خرسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بهـا
الرجال واعتقل المنن في الاعناق وكان شانه بخراسان عظيمًا فاستشاره
الامين في امر خراسان فضمن له امرها وانه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه
ثنان ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد يغلب عليها واعطاه
اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنده واصحابه من السلاح والكراع ما شآء
وبلغ ذلك المامون فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة علي ابن عيسى
فركب الى منتزه له ليناظر وزرآءه في تدبيره في امره فعارضه شيخ من
من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية مستغيثًا به من مظلمة نالته فلما نظر
المامون الى هرمه رق له وامر ان يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع
الذي قصده ويدخل عليه بغير استئذان ولما استقر المامون ووزرآؤه

بذلك الموضع الذى قصدوا ادخلوا عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس ثم اقبل على صحابته فاخبرهم بما صنعه اخوه الامين من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو يظن ان الشيخ الفارسي لايحسن اللسان العربي وان ما به من الهرم شاغل له عن الاصغاء الى ماهم فيه مع ما حمله على ذلك من القلق والاضطراب (فلما) راى القوم ان المأمون لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا له فطالت فكرتهم ومناظرتهم في ذلك الى ان قال احدهم الراى اصطناع قوم من الاغنام الذين لايعرفون علي بن عيسى فيلقى بهم وقال غيره الراى ان نبادر بالارسال الى الامين نطلب منه الصفح وبذل الانقياد لامره فانه يرى ذلك حظا وقال غيره الراى ان نلجا الى بعض المعاقل فنعتصم به وننتظر الفرج وقال غيره الراى ان نجمع اهل النجدة فنزيح عللهم ثم نقصد بهم بعض هذه الممالك المجاورة لنا من ممالك الكفار فنصدقهم القتال ولعل الله ان يظفرنا فنصير الى مملكة تؤوينا و ينزع الينا من هو على مثل راينا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى نقضي الله امره وقال غيره الراى عندى ايها الامير ان تنحاز الى ملك الترك مستجيرا به ومستعينا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم تزل الملوك تفعله اذا دهها مالا قبل لها به (فلما) سمع المأمون هذه المقالة ركن اليها وعول عليها ثم افكر فقال كيف اجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا وقال لاصحابه قوموا عني فنهضوا

اجمعون والتفت فراى الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وساله عن امره
وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له فقال الشيخ بلسان عربي ايها
الامير اني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اكد منها واولى بالعناية
فقال له المأمون قل ما احببت سالكاً سبيل الادب فقال الشيخ يا ايها
الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك ثم قد القى الله تعالى
في قلبي من المحبة للامير ماملاه وانه كان يقال الرق ثلاثة انواع فاولها
واشدها استيعاباً للباطن والظاهر رق الاختراع وهو الرق لله صانع
الموجودات والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه للمنعم والثالث رق
الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربهما الى رق الاختراع لان
له سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن والثاني رق الرعية لراعيها ورق
العبيد لساداتها وانا اخبر الامير اعزه الله انه قد تظافرت له علي ثلاثة
قوي من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان راى الامير
اعزه الله ان يوصل وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي فيلحفني رداء
اختصاصه ويكرمني بمكاثرة اوليائه ونصحائه فعل ذلك متطولاً به غير
محتاج اليه وان عبده ليرجو ان يصادف الصنيعة منه شاكراً والاختصاص
منه مشفقاً ناصحاً فقال له المأمون ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي فاطرق
المأمون مفكرا فيما تكلم به فقال الشيخ لا يصدن الامير عني حقارة قدري
فانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع احدا فانك تنتفع به كائناً من كان

وهو احد رجلين اما شريف فتتجمل به او وضيع فتحمي عرضك وتصون مرتبتك وعلى اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي فاني برهمي من ولد البرهمي سيد ملوك الفرس المتوسط بينها وبين اول الاوائل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني في عقد ذمة وصغار جزية فقال له المأمون مابنا عنك ايها الشيخ من رغبة وان انتقلت من ذمتنا الى ملتنا الحفناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى مادعاني اليه الامير لشديد ولكني لافعله في مقامي هذا فلعلي ان افعله فيما بعد ثم قال ان اذن لي الامير ان اتكلم فيما فاوض الان وزراءه فيه فقال له المأمون تكلم فقال الشيخ قد سمعت ما اشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه فقال المأمون اطلعنا على رايك فقال الشيخ اني اجد في الحكم التي ورثها ابأي عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه مالا قبل له به ان يلزم نفسه التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولايضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال المأمون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة من غير امتحان وما ذاك لاختيارنا اضاعة الحزم ولكنا احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا للمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا يعني علي بن عيسى هو املك بالبلد منا ثم

لايمكننا مقاومته ولو اردنا ذلك لعجزنا عنه لتعذر الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحو هذا الامر من قلبك بالجملة وان لا تصغى الى من ينطق به فانه كان يقال ماكثر من كثره البغى ولا قوى من قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغضب وها انا احدثك عمن ان حذوت مثاله نلت مناله فقال له المأمون هات (فقال الشيخ) ان الخنشوار ملك الهياطله لما اسر فيروز بن يزدجر ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه و وضع في اقصى تخوم ارض الهياطله صخرة واخذ على فيروز عهداً ان لايتجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخنشوار من فيروز بما اخذه عليه من عهود المسالمة اطلقه فحين رجع الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة فعزم على غزو الخنشوار واطلع وزراءه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك عما هم فيه فاذكروه العهود التي اخذها عليه الخنشوار فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا آمر بحملها على فيل فتكون بين يدي جنودي لا يتجاوزها احد منهم فلما راوا ان الهوي قد وقف به على حد الرضي بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا ان لا يراجعوه في ذلك وكان يقال الهوى صدأ يعلو العقل فلا تنطبع فيه صورة الحقائق وكان يقال مالم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك دين السكر وقوة سلطانه وكان يقال لايرشد تابع الهوى في حال استيلاء

الشهوة والغضب عليه لانها حال احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه عليها فاما سلطان العقل فطارئ مستفاد والعقل حجابان وهما الشهوة والغضب ولا يزال العقل ناظرًا الى الهوى قاهرًا له مالم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ ينشط سلطان الهوى وينفذ حكمه قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل كان كل واحد منهم حافظًا لربع من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخنشوار في جيوش يظن ان لا غالب له فكان الخنشوار يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان ظفره به اولاً لمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا اللقب حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس كالنبي قال لفيروز حين راى عزمه على غزو الخنشوار لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور مالم ياخذوا في هدم اركان الشريعة ولا تعرض له بسوء فلم يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب رأيه في هواه ومعصية نصحائه وكان يقال يستدل على ادبار الملوك بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن لا خبرة له بالعواقب والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مونة ملكه والرابع ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للراي والخامس استهانته بنصائح العقلاء واراء ذوي الحكمة وكان يقال من عصى نصيحًا فقد استفاد عدوًا

وكان يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الراي غالبا ومن ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبًا وعلى حكم هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهائم قال الشيخ الفارسي وان فيروز سار نحو الخنشوار حتى اذا انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخنشوار علما لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لايتجاوزها امر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها بين يدي عسكر فيروز ونهى ان لايتجاوز ذلك الفيل احد من العسكر فما ابعد عن ذلك الموضع الذي كانت الصخرة فيه حتى جاءه رجل من ثقاة اصحابه واخبره ان اسوارا عظيم القدر من اساورته قتل رجلا مسكينًا ظلما وعدوانًا وجاء اخو ذلك المسكين المقتول مستغيثًا فاستغاث بفيروز وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فامر فيروز بمال ليرضيه به من دم اخيه فابى قبول المال وقال لايرضيني الادم قاتل اخي فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه بخنجر كان في يده فلما راه الاسوار حرك فرسه هاربًا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته وتقدم بين يدي دابة فيروز فسجد له فساله فيروز عن حاله فذكر له انه يريد الخلوة به في مهم عرض له فامر فيروز فضرب له فسطاط فنزل فيه واذن لذلك الوزير

فدخل عليه وامره بذكر ما عندك فقال له ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم
السبعة وعمرت عمر راسف في مثل عزته وقوته لقد ظهرت عناية اول
الاوائل بك فيما ضربه لك من هذا المثل في مثل هذا الاسوار اذ كان
اسوارا نجيبا نجدا هرب من يد مسكين في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وتعديه
فقال فيروز انه لم يفر منه لعجزه بل لخوفه منا ولم يكن ليفعل تلك الفعلة
القبيحة ثم يشفعها بمثلها فقال الوزير ايها الملك ارايت ان دعوته الى مبارزة
ذلك المسكين وآمنته من سطوتك فظهر ذلك المسكين عليه اما تعلم ان
هذا مثل ضربه لك قيم العالم فقال الملك لافعلن ذلك ثم احضر الاسوار
فآمنه وامره بمبارزة ذلك المسكين الثائر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع
عليه سلاحه وركب فرسه واتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته
فاظهر الرغبة فيها والحرص عليها فخوف من الهلاك فلم يخف فقيل له الم
ترَ درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت بفروسيته ونجدته واقدامه انك مهلك
نفسك ومسمّيت فلا اثم علينا فيك فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه
علي فرس الغرور وانا علي فرس البصيرة وهو لابس درع الشك وانا
لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف البغي وانا مقاتل بسيف الحق فقال
الوزير ايها الملك ان كلام المسكين ابلغ في المسالة والموعظة من
ظفره بهذا الاسوار فصن اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه للهلكة بلقاء
هذا المسكين واعمل في رضا هذا المسكين بالاحسان فان لم يرضه الا

القصاص فاقض له بالعدل المألوف منك واستدم عناية الاول الآخذ
بك بعنايتك بالحق الذي يرضيه العمل به ويسخطه اجتنابه فقال
فيروز لابد من الاخلاة بينهما في النظر الى مايكون منهما ان كان المسكين
يختار ذلك ويرغب فيه فأعاد وأعرض مبارزة الاسوار على المسكين
فاصر على الرغبة فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده تخوفهم الا
جراءة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تخف منه ولا تجبن عنه فحمل كل
واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار
وضربه الاسوار بالسيف فطأطاه لها المسكين فاصاب ذباب السيف
اليته فاثر فيها اثرا ليس بكثير ثم ثار اليه المسكين فضربه بخنجره في عنقه
وجذبه اليه فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى فادخل حلقات
الدرع في جوفه وقضي عليه فبات فيروز تلك الليلة في موضعه ذلك
مفكرا فيما ياتيه ثم انه استقاد هواه فنفذ لوجهه وكان يقال اول الهوى
هوان وآخره هون وكان يقال الهوى طاغية فمن ملكه اهلكه وكان
يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيول اذا اتصل
مدها تعذر صدها وكان يقال ليس الاسير من اوثقه عداه اسرا انما الاسير
من اوثقه هواه قسرا وارهقه خسرا (قال الشيخ) ولما علم الخنشوار قصد
فيروز اليه لحربه حمل نفسه على التثبت ووكل الامر الي الاول الاحد
وسأله ان يغضب لعهودة ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها ولاخاف نكثها

واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد ثغوره وجمع اليه جنوده واعدَّ للقا •
فيروز عدَّته وامهله حتى وطئ فيروز كثيرًا من ارضه وتوسط مملكته
وعاث في بلاده وساء على رعيته اثره فنهض اليه ففاجاه وصدقه الجلاد
فانكشف فيروز منهزمًا واسلم ماكان في يده فقتل الخشوار رجاله وغنم
امواله وامعن في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة
اصحابه وكانت العاقبة له (قيل فلما سمع) المأمون ما ضربه له الفارسي
مثلا اقبل عليه مستبشرا به وقال له قد سمعت مقالتك فصادفت منا قبولا
لها وشكرا عليها وسرورا بها فماذا ترى فيما دعوناك اليه من توحيد الله الذي
اجزل من العقل حظك وفتق بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك
وقطع بمحمد صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا آله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فسرَّ المأمون باسلامه واجزل صلته واقرب
منزلته فالحقه بخاصة اصحابه وامر بملازمة بابه فما لبث الا اياما قلائل حتى
لحق بربه وعمل المأمون برأيه فانجح الله عمله وبلغه من الخلافة امله

السلوانة الثانيه وهي سلوانة التاسي

انزل الله ربنا تقدس اسمه من السورة المذكور فيها الاحزاب آيات
معجزات طبقن المفصل المقصود بهذا الكتاب وهو تاسي الملوك في طواه
العوام والله ربنا المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله سبحانه
في المتألبين على خليفته في ارضه الداعي الى مندوبه وفرضه صلى الله عليه

وسلم اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقوله في تردد من ضعفت بصيرته حينئذ وتظنون بالله الظنونا وقوله في نجوم النفاق وجراة اهله على اظهار ماكانوا يسترونه حين راوا ان المؤمنين قد ابتلوا وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله في القاعدين عن نصرة الحق المخذولين عن ارادة نصره قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الآية وقوله فيهم واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لامقام لكم فارجعوا وقوله في المتسللين لواذا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الافرارا وقوله في تجار اسواق الفتن الذين يتبعون كل ساع ويستجيبون لكل داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها الآية وقوله في تعجيز القدر في مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الآية والتي بعدها وفي قوله سبحانه قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة الاية فهذه جمل طوام العوام والامتحان بها ثم ان الله سبحانه دل على من امتحن بها على ما ادب به رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لقد كان لكم في رسول اسوة حسنة ومما ادب به رسوله التأسي قال عز من قائل ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم

نصرنا ثم عرف الله سبحانه رسوله ان اضاعة التاسي وترك العمل به لا يجلب اليه حظاً فقال وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية (واعلم ان) التاسي مفترض عليه بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا امر جزم و روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ادبني فاحسن ادبي فالتاسي مما ادب الله به رسوله صلى الله عليه وسلم بل مما افترضه عليه كما بينا ومعنى التاسي عند الائمة ان تنظر الى اسى غيرك وانه مثل اساك اي مثل حزنه فتصبر والاسى هو الحزن ولا يعجبني هذا وهو ماخوذ من قولهم اسوت الجرح والجريح اي داويت والاسى هو الطبيب المداوي فكان معنى التاسي التطبب والتداوي بالصبر والاسوة اسم من هذا والتاسي تفعل من الاسى ولو كان على ما ذهبوا اليه لكان معنى التاسي التحزن تقول اسيت اي حزنت وتاسيت اي تحزنت

خبر نبوي في التاسي

مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم (قال الشيخ) الامام حجة الدين ابو هاشم محمد ابن ظفر رضي الله عنه ان هذا الحديث لحسن الموقع فيما نحن فيه ولا ينبغي ان يقصر بلفظه عن مطلق افهامه وموجب عمومه لانه امر لمن كان في نعمة دقيقة بان ينظر الى من هو في

نعمة ادق منها وامر لمن كان في بلاء ان ينظر الى من كان في بلاء اشد من بلائه فانه دونه واسفل منه في المعافاة المطلوبة وهذا المخفف عنه حظه 'وفر وعلى هذا القياس وعلى قدر النعمة منعم عليه ومحسن اليه بما يفوق ما انعم به على غيره وذو 'لبلاء منعم عليه بنقص بلائه عن بلاء غيره ولمعافاته من الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلي بها غيره وانما كان هذا الخبر بليغا في باب التاسي لانه يقلل مستعظم البلاء الذى نزل بهِ الى ان يستصغره باضافته الى ما ابتلي به غيره ويحضه على شكر مافضل به من حظ العافية التي فضل بها على غيره وهذه درجة اعلى من درجة التاسي المطلق لان التاسي المطلق لايفيد حضا على شكر ولايصور النقمة المخففة في صورة النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث يثمر الصبر ثم الشكر

اسجاع وابيات حكمية في التاسي

التأمي جنة البلاء وسنة النبلاء التاسي درج الاصطبار كما ان الجزع درك البتار انه ينبغي لذي الصبر ان يرى النعم في صورة العواري المرتجعة والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها وجور المنعم اذا استردها كما ينبغي له ان لايذهل عن حظوظ جنسه منها ودولتهم فيها فاذا زالت عنه وصارت اليهم لم ينكر احد انصبأهم وتةاضيهم حظوظهم وليتأس لصبرهم عند حوزه لها دونهم فيصبر لدولتهم الخالفة كما صبروا لدولته السالفة

ولان صدقة المتصدقين وإقراض المقرضين وضيافة المضيفين وما يلحق بذلك من ضروب المواساة في المال وفي القوة والجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليستبقوا النعم باعطاء الجنس حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها مقنع والله المستعان وانشدني بعض الملوك لنفسه في حال شدة نزلت به فقال

نحن من قد علمت بطشا وحلمًا   ولنا المحتد الاعز الاغرّ
ولذا انفس عوارف بالدهـــر تاسي حين الاسى يستقرّ

وحضرت عنده يومًا من ايام شدته فانشدني لنفسه

قربني الدهر فلم يلقني   اطمع في تاييد تقريبه
ثم نبا عني فلم يلقني   اجزع من اصناف تعذيبه

وقال ايضا الحمد لله على حكمه

ثم قال اجز فقلت · ففوني منه وحولي به · وقال لى يومًا وقد حادثته بما يبعثه على التاسي انشدني في ذلك شعرًا فانشدته للخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا   واذكره بكل مغيب شمس
الا ياصخر لا انساك حتى   افارق عيشتي وازور رمسى
ولو لا كثرة الباكين حولى   على احبابهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخي ولكن   اعزي النفس منه بالتاسي

فقال لي هذا اخلق من طيلسان ابن حرب اسمع وانشد نى لنفسه

نفيض كما يفيض النيل جودا ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا تأسينا باملاك . كرام

(روضة رائقه · ورياضة فائقه)

قيل لما عزم سابور ابن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا متجسساً نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر يمكنه ان يستنيب فيه فعصاهم وكان يقال اشقى الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق القينات من الشيوخ وكان يقال انما عسر صرف الاحداث من غيّ الهوى الى رشد الراي لامرين احدهما قوة سلطان الشهوات عليهم والثاني ان التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم وذو الحنكة بخلاف ذلك ثم ان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان شيخاً ذا دهاء وحزم وسداد وحكمة وبصيرة بالديانات واللغات وتبحر بالعلوم وخبرة بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ماظن ان به اليه حاجة او تدعوه اليه داعية وامره ان يخاز عنه في قرب منه ومراعيا لجميع احواله في نهاره وليله وتوجها معاً نحو الشام فتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتحرف بصناعة الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت منه الجراح برئت واندملت في الحال (قال الشيخ) الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه قد رايت جماعة ذكروا انهم راوا هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم انه امتحنه بان شرح

اللحم ودهنه منه فالتام مكانه وكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم
وبعد مادخلها يداوي الجرحى بادوية يضيف اليها شيئاً يسيرا من ذلك
الدهن فتبرا جراحهم بسرعة واذا عني باحد منهم من ذوي الاقدار داواه
بذلك الدهن صرفاً فيبرا مكانه ولا ياخذ علي تلك المداواة اجرا فانتشر
له في بلاد الروم ود وصيت بالعلم والزهد وكان يقال من غرس العلم
اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى
المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمه ومن غرس الوقار اجتني المهابة ومن
غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس
الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ومن غرس الحسد
اجتنى الكمد وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها
متفقة على حمد اخلاق اربع العلم والزهد والاحسان والامانة (قيل)
فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان الوزير يراعي احوال سابور راشد
المراعاة فلم يزالا علي ذلك حتى طافا جميع الشام وتجاوزا الدروب وقصد
القسطنطينية فقدماها فذهب ذلك الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم
ابو الاباء فاستأذن عليه فاذن له وساله عما يريد فاخبره انه هاجر من
ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية
نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن نزله والحقه ببطانته
واختبره فوجده لبيباً ممتعاً فاعجب به غاية العجب وجعل الوزير يتأمل

اخلاق البطرك ليصحبه بما يوافقه وينفق عنده ويحسن موقعه منه وكان
يقال اذا اردت صحبة رئيس فانظر مايستميله و ينفق عليه من الالات فان
رايته مطبعا للعمل بها في طلب اقباله عليك وحظونك عنده فاقدم عليه
والا فرض نفسك على ذلك الي ان تعلم انها اطاقته واحكمته فتقدم
على بصيرة (قيل) فلما تامل وزير سابور اخلاق البطرك وجده مائلا
الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار فاخذ الوزير في اتحافه من ذلك
بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تطل المدة حتى حلا بعينه وقلبه وصار
الصق به من شعرات قصه وجعل مع ذلك يعالج الجرحى ولا ياخذ على
ذلك عوضا فعظم قدره في الناس و ومقته القلوب وكان يقال اذا كانت
القلوب مجبولة على مقة المحسنين وكانت المحبة رقا والاحرار يكرهون
الاسترقاق فالحرّ على الحقيقة من فدى نفسه من رق المحسنين بمكافاتهم
على احسانهم جهده حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه لهم معذورا وجعل
الوزير يتعهد احوال سابور في كل وقت الى ان صنع قيصر وليمة وحشد
اليها الناس على طبقاتهم وتهدد من تخلف عنها فاراد سابور حضورها
ليطلع على هيأة قيصر وهمته في قصره وذخائره فيها فنهاه وزيره عن
التغرير بنفسه فعصاه وتزيا بزي ظن انه يستر به امره ودخل دار قيصر
مع من حضر الوليمة وقد كان قيصر لما بلغه ما ايد الله به سابور من لطف
الفطنة وعظم الهمة وشدة الباس في حال صباه حذره حذرا شديدا فبعث

الى حضرته بمصور ماهر فحكم صورة سابور في مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده المصور عليها وقدم بتلك الصورة علي قيصر فامر قيصر بان تصور تلك الصورة على فرشه وستوره وفي الات اكله وشربه فصنع ذلك علي ما امر به ورسمه ولما دخل سابور دار قيصر واستقر به القرار في مجلسه فطعم مع من حضر ذلك المجلس ثم اتوا بالشراب في كؤس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقه فلما وقعت عينه عليه انكره وجعل يتامل شخصه وشارته ونظرته واشارته فرآى عليه مخايل الرياسه فطفق يستشغه ولا يصرف بصره عنه فأُتي ذلك المتفرس بكاس فيه صورة سابور فتاملها فانطبعت في نفسه مثالا لذلك الشخص الذى انكره وغلب على ظنه انه سابور فامسك القدح في يده امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي في هذا القدح تخبرني خبرا عجيبًا فقيل له ما الذى تخبرك فقال تخبرني هذه الصورة ان الذى هي مثاله معنا في مجلسنا هذا ونظر الى سابور وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ماظنه به واعاد القول فبلغ خبره قيصر فادناه وساله فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض على سابور فقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل فقال ذلك المتفرس لاتقبلوا قوله فهذا سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ليرعبه بذلك

اعترف لهم بانه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستكشف الاسرار من
لحات الابصار وطالما دلت اوائل المبصرات على اواخر المنتظرات (وقيل)
كما ان الابصار مرآة تنطبع فيها المشاهدات اذا سلمت من صدا الآفات
فكذلك العقول مرايا تنطبع فيها بعض الغائبات اذا سلمت من صدا
الشبهات (وقيل) من الادلة على مكاشفة الله القلوب ببعض الغيوب ان
الانسان قد يتوقع الشي يكرهه او يحبه ثم يكون ذالك الشي الذى يتوقع
على نحو ماتوقع منه فقد يرى الانسان الانسان فيحبه بغير احسان فرط
منه اليه او يبغضه لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان والاساءة
قيل فلما اعترف سابور بصدق ذالك المتفرس حبسه قيصر مكرما وامر فعملت
له من جلود البقر صورة بقرة كاعظم مايكون من البقر وطبقت عليها
الجلود سبع طبقات واتخذ لها باب من اعلاها في ظهر الصورة يدخل
اليها ويخرج وجعلت فيها كوة من اسفلها من موضع المبال وامر بسابور
فجعلت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسة ليمكنه معها تناول
ما يصلحه من طعام وغيره وادخل سابور في جوف تلك الصورة وهذا
بعد ان حشد قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك
الصورة التي سجن فيها سابورماية رجل من ذوي النجدة والباس يحملونها
دولا بينهم وجعل على كل خمسة منهم رئيسا يضبط امرهم وصرف جميع
امرهم الى المطران ومعنى هذا اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهذا

خليفة للبطرك وكانت تلك الصورة تحمل بين يدي المطران فاذا نزل العسكر انزلت الصورة التي فيها سابور في متوسط العسكر وضربت عليها قبة تسترها وطاف بها خمسون من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر قباب مستديرة بها فكان في كل قبة خمسة ورئيسهم معهم وضربت للمطران قبة تجاورة لقبة سابور وضربت خارج القباب كلها خيمة يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب اقدارهم ومراتبهم وسار قيصر محتفلا في جنوده وقد عزم على اخراب بلاد الفرس وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان لادافع يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام مداجاة العدو مادامت لدولته ريح اقبال كما ان العجز اضاعة الفرصة فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح اقباله وكان يقال العاقل لايكون في سلطان ملك اجتمعت فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص وكان يقال تميز الملك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات لابفضيلة الآلات وفضل ذات الملك بخمس خصال رحمة تشمل رعيته ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم وليانة يكيد بها الاعداء وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات واما فضيلة الآلات فباتخاذ المباني الوثيقة العليه والملابس الانيقة السرية والذخائر النفيسة السنيه والمطاعم الشهيه والمراكب البهيه فهذه فضيلة تفضل بها هذه الادوات على ماهو دونها فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب فضل على غيره من الثياب وللذخيرة فضل على

غيرها من الذخائر وللطعام فضل على غيره من الاطعمة وللدابة فضل
على غيرها من الدواب فالفضيلة لهذه الاشياء لا لمالكها (قيل) لما سار
قيصر بجنده ومعه سابور على الهيأة التي ذكرناها قال وزير سابور للبطرك
انما استفدت بخدمتك والقرب منك الرغبة في صالح الاعمال وانه لا عمل
اصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفع الى مضطرب وقد علمت
كفايتي في معاناة الجرحى وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك قيصر في
سفره هذا فلعل الله ان ينقذ بي نفساً صالحة يترحم عليَّ من اجلها ويقدس
قلبي بخدمتها ويحفظني لها فكره البطرك ذلك وقال له قد علمت اني
لااستطيع فراقك ساعة فكيف تطالبني بالسفر البعيد عني ماظننت انك
تلقاني بما اكرهه وتسومني مايشق عليَّ احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيئا من
الاشياء على القرب مني والتحبب اليَّ فقد ازلتني عن حسن ظني بك فلم
يزل الوزير يتضرع للبطرك ويملقه ويقرب له العود الى ان سمح له بذلك
فاذن له وزوده وكتب معه كتاباً الى المطران يخبره فيه انه قد بعث اليه
بسويداء قلبه وسواد بصره فليحلله من نفسه باعلى المراتب ويستضيء برايه
فيما اشكل عليه فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه
في قبته وجعل زمام امره ونهيه بيده وجعل الوزير ينفق على المطران بما
يحبه ويستميله بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة باخبار ممتعة رافعاً بها صوته
ليسمع سابور صوته وحديثه فيتسلى بذلك ويدس في حديثه ما يجب

ان يستعمله سابور من الاخبار ويفطنه من الاسرار فكان سابور يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعد لتخليص سابور انواعًا من المكايد رتبها واسسها عنده حين ماقدم على المطران وكان يقال ان من ظن من الملوك ان امطنته نضلاً على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة الوزير لم يفلح وانما كانت فطن الوزراء أثقب من فطن الملوك لان الملوك يتفقهون ابدًا في سياسة من دونهم من الرعايا لا غير والوزراء يتفقهون في سياسة الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه شئ بالجوارح التي تصيد وتفترس ويصيدها ايضـــا جوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح بمكايد الاحتراس ومكايد الاكتساب وكان يقال احسن الوزراء حالاً من اعد لكل امر يجوز وقوعه ويمكن عدة فاذا وقع الامر قابله بما كان اعده له واسوء الوزراء حالاً من توكل على لطف فطنته وقوة حيلته ودربة ممارسته فيترك الاعداد للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك تزوير القول واعداده وترويته توكلاً على فصاحة لسانه وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه العي والحصر في مقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح توكلاً على قوة بدنه وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به عدوه في بعض المواطن قبل وكان من المكايد التي اعدها وزير سابور ان امتنع عن مواكلة المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام الذي زوده البترك طعامًا غيره لما يرجوه من بركة الاغذاء

به فكان اذا حضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد ماتفرد بالاكل
منه ولم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى نزل ارض فارس واكثر فيها القتل
والسبي وتغوير المياه وقطع الشجر واخراب القرى وهو مع ذلك مواصل
السير ليستولي على ديار ملك سابور ويباغت من بها من روساء الفرس
قبل ان يملكوا عليهم رجلاً ولم يكن للفرس همّ الا الفرار بين يديه والاعتصام
منه بالمعاقل فلم يزل قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقرارة ملكه
وهي المسماة جنديسابور فاحاط بها جنوده ونصب عليها المجانيق ولم
يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار
والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور بالتفصيل بما يفهمه اياه وزيره في
احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم تسمع منه
كلمة منذ سجنه قيصر في تلك الصورة فلما عرف سابور ان قيصر قد
ثقلت وطاته على اهل جنديسابور وقد ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف
على افتتاح المدينة عيل صبره وساء ظنه بوزيره وجزع ويئس من النجاة
مما هو فيه فلما جاء الموكل به بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني
منالا ضعفت عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني منها
واجعلوا بينها وبين عنقي خرقاً من الحرير فجاء الموكل بطعامه الى المطران
فاعلمه بمقالة سابور وسمعها وزير سابور فعلم ان سابور قد جزع ويئس
وساء ظنه وفطن لما قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس لمسامرة

المطران قال لقد ذكرت الليلة حديثًا عجيبًا ماذكرته منذ كذا وكذا سنة ولوددت اني كنت حدثته للبطرك قبل سفري عنه فقال المطران انى ارغب اليك ان تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعم وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعًا صوته ليسمع منابور فقال انه كان عندنا بجليقية فتي وفتاة في نهاية الحسن والظرافة اسم الفتى مامعنـــاه عين اهله واسم الفتاة مامعناه سيدة النار وكانا زوجين موءتلفين متحابين لايبتغي احدهما بالآخر بدلاً وان عين اهله جلس يومًا مع اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النساء الى ان وصف احدهم امراة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها مامعناه سيدة الذهب فوقع بقلب عين اهله ميل اليها فسال الواصف لها عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية عين اهله ففكر عين اهله في امرها وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل على النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي قهرها بعلها بمصالح نفسه وبيتها وولدها فصلحت الجملة واذا كان السلطان للنفس على العقل كان سعي النفس فاسدا ونزغاتها مذمومة كفعل المراة التي قهرت بعلها (قيل) فانطلق عين اهله الى القرية التي تسكن بها سيدة الذهب وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل يتردد اليه حتى رآها فرأى منظرًا معجبًا ولم تكن احسن من امراته ولكنه كان يقال من ضرورة النفس ان

نحن الى التنقل في الاحوال اذا كانت نقلت بالتركيب الى عالم الكون
ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد وما افتتح امره بالنقلة واختتم امره بالنقلة
فاليق الاحوال بتوسطه النقلة ونازعت نفس عين اهله الى الاستكثار
من رؤية سبيكة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتاملها حتى فطن
له بعلها وكان جليقيا غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى
الذئب فرصد عين اهله حتى مر به فلما راه وثب عليه فقتل فرسه ومزق
ثيابه ومقنعه واستعان باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه الى دار
الذئب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها ووكل به الذئب عجوزا
قطعاء اليد عوراء العين جدعاء الانف شوهاء الحالة فلما جن عليه الليل
اوقدت تلك العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي فتذكر عين
اهله ماكان فيه من الرفاهية والسلامة فزفر زفرة عالية فاقبلت العجوز
عليه وقالت له ايها الفتى ماذنبك الذي اوردك مورد الذله والشدة فقال
عين اهله ما علمت لي ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير فلم
يصدقه الخنزير فقال عين اهله للعجوز ان رايت ان تحدثيني بذلك
وكيف كان فانك تحسنين الي به فقالت العجوز ذكر ان فرسا كان لرجل
من الشجعان فكان يكرمه ويحبه ويحسن القيام عليه ويعد لمهماته ولا يصبر عنه
ساعة وكان يخرج به الى مرج فيزيل عنه سرجه ولجامه ويطيل رسنه
فيمرغ ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج به يوما الى المرج ونزل عنه

فلما استقرت قدمه على الارض نفر الفرس وجمح ومرّ يعدو بسرجه ولجامه
فطلبه الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينهِ عند غروب الشمس فرجع
الفارس الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس
واظلم عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يستقر على احد
جنبيه فمنعه من ذلك الركابان ورام ان يتمرغ فمنعه السرج فبات بشر ليلة
الى الصباح ولما اصبح ذهب يبتغي فرجًا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخلـه
ليقطع الى ضفته الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه
من جلد لم يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب
فيبسا واشتدا عليه فورم لبانه ومحزمه واشتد الضرر عليه الى ما به من
الجوع فلبث بذلك اياماً الى ان عجز وضعف عن المشي فقام فمر به خنزير
فهم بقتله ثم عطفه عليه ما راى به من الضعف فسأله عن حاله فاخبره بما
هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام فسأله ان يصنع عنده معروفـا
ويخلصه مما ابتلي به فساله الخنزير عن الذنب الذي استحق به تلك العقوبة
فزعم الفرس ان لاذنب له فقال له الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك
وجاهل في جرمك فان كنت يافرس كاذبا فما ينبغي ان انفس عنك خناقًا
ولا اصنع عندك معروفا ولا اتخذك وليا ولا ان التمس عندك شكرًا او
اطلب فيك اجرا وانه كان يقال اذا رايت نفس الكذاب قد تشبث بها
عالم الفساد فكلها اليه فانه اللائق بها لفساد تركيبها والدليل على فساد

تركيب نفس الكذاب انها مضرة به معرضة عن الحقيقة في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل حقا وتصور ذلك في نفس المغتربها الراكن الى قولها وكان يقال احذر مقاربة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم وانت لا تشعر وكان يقال اصعب ما يعانيه الانسان ممارسة صاحب لا يتحصل منه حقيقة وكان يقال لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه اصدق له منك فلن يترك طباعه لك ثم قال الخنزير وان كنت يافرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه وكان يقال احذر الجاهل فانه يجني علي نفسه ولست احب اليه منها وكان يقال ما شيء اشبه الكذب من الجهل وذلك ان الكذاب يتناسي الصورة والقضية محسوستين ويتخير الكذب الذي هو ضدها حتي ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف ما هي عليه فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا وانما الفرق بين الجاهل والكاذب ان الكاذب ياتي ما يعلم خطأه فيه والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلي غيره اشد جناية من الكاذب فقال الفرس للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في اصطناع المعروف فقال الخنزير اني لست بزاهد فيه ولكنه كان يقال العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر لحبوبه التي تبذر فيها زكا من الارض

فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك لاعلم من
اين دهيت لحدثه الفرس بجميع اموره وكيف كان عند فارسه وكيف
فارقه وما لقى في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال له الخنزير قد
ظهر لي الان انك جنيت وان لك ذنوبا ستة احدها خذلانك لفارسك
الذي احسن اليك وأعدك للمهمات والثاني كفرك احسانه والثالث
اضرارك به في طلبك والرابع تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام
والخامس اساءتك الى نفسك بتعاطيك التوحش الذي لست اهلا له ولا
لك عليه مقدرة والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك على غوايتك
فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك والاستقالة من فارط جهالك
قبل ان يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزام بالضنك فقال الفرس
للخنزير اما اذ عرفتني وايقظتني لما كنت ذاهلا عنه محجوبا بحجاب الجهل
فانطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير اما اذا
اعترفت وفطنت لهذا الغدر ولمت نفسك ووبختها واخترت لنفسك
العقوبه على جهلك فانه حقيق ان ينفس عنك وانه قيل ان الاب لوقا
كتب على باب بيته انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف نفسه ووقف بها
عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون بهذه
الصفة ثم ان الخنزير قطع عنان اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس
(قال فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته له من الامثال

اقبل على العجوز وقال لها قد صدقت فيما نطقت وضربت لي مثلا
كشف لي عن جلية امري وافدتني حكما لا اكتفاء لها وادبتني فتأدبت
ووعظتني فاتعظت ثم حدثها حديثه ورغب اليها ان تمن عليه بالاصطناع
وتطلقه كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غر لا بصيرة لك
باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكن فعله الان ولعلي ان اجد لك
فرجًا ومخرجًا مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت العجوز عن مخاطبته
قال فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه الغاية اقبل على المطران وقال له
اني احس في راسي صداعًا وفي اعضائي فتورًا ولا يمكنني الليلة اتمام
الحديث ولعلي ان اكون في الليلة القابلة نشيطا الى ذلك قديرا عليه
فاكمل مسرتك باكماله ونهض الى مضجعه فجعل سابور يتصفح كلام وزيره
ويتامل الامثال التي وصفه بها ففهم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه
ملك فارس وكنى عن مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان رعيته يعبدون
النار وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور
الى رؤية مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى رؤية سيدة الذهب
وكنى عن اخذ قيصر له بقبض الذئب على عين اهله وقصد بما ضربه له
من الامثال الحكمية تاديبه على شرهه وتعريره بنفسه ومخالفته نصحاءه وكنى
عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذاله في خدمة المطران وطلبه مرضاته وتملقه
العجوز القطعاء الجدعاء العوراء المشوهة الخلق وعرفه انه لا يمكنه تخليصه

في هذا الوقت وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث بذلك ليلته ووعدها الى الليلة القابلة فلما تعشى المطران واخذ مقعد المسامرة قال لوزير سابور ايها الراهب الحكيم اخبرني ما كان من خبر عين اهله وكيف كان عاقبة امره وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب ام لا فان نفسي الى علم ذلك متطلعة واراك الليلة صالح الحال فقال الوزير سمعًا لقولك وطاعة لامرك ثم اقبل عليه يحدثه قال ان عين اهله اقام على حالته موثقا ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب نتهدده بالقتل وزاده الى وثاقه قيدا ثقيلا وخرج عنه فقطع عين اهله نهاره ذلك بالاماني فلما جنه الليل قلق واستوحش فبكي وانتحب وجاءت العجوز فاضرمت نارا قريبا منه وجلست تصطلي ثم اقبلت على عين اهله فقالت تعز واصبر واذكر مصائب الناس فتاس بهم ولا تذهل عن النعمة العظمى في حفظ نفسك فقال لها عين اهله لقد صدق القائل هان على الطليق ما التقى الاسير فقالت له العجوز ايها الفتى ان حداثة السن قصرت بك عن ادراك كثير من الحقائق فتسمع حديثا لك فيه سلوة فقال نعم فانعمي علي به فقالت العجوز (ذكر) ان تاجرا مكثرا كان له ابن صغير وكان شديد المحبة له والشغف به فاتحفه بعض معارفه بغزال قد شدن صغير فعلق به قلب الغلام ولد التاجر فكان لايفارقه وجعل اهل ذلك الغلام على ذلك الغزال حليًا نفيسًا وارتبطوا له شـ

ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشدّن نجم قرناه فقال الغلام لاهله ما هذا الذي في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادهما و بريقهما فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى تكون صفتهما كيت وكيت فقال الغلام لابيه احب ان ارى ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه فصيد ظبي ثني السن قد استملك قوة ونموا فاعجب به الغلام واكرمه اهله وحلوه والبسوه فانس وألف الغزال الظبي لمجانسته الطبيعيه فقال الغزال للظبي ماظننت قبل ان اراك ان لي في الارض شكلا ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي شكلا سواك فقال له الظبي ان اشكالك كثيرة فقال الغزال اني هي ناخبره الظبي بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض فرارا من الناس وحدثه عن مراتعها ومواردها وازدواجها وتناسلها فارتاع الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها فيكون معها فقال له الظبي هذه امنية لاخير لك فيها وانت قد نشأت في رفاهيه من العيش وامنة لاتعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لندمت وانه كان يقال ثلاثة من لم يعرلها بمنزلتها ويرع لها حقها اسرعت مفارقته والتحول عن قربه وهي الملوك والعلماء والنعم وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخاء جماح فلا ينبغي للعاقل ان ياذن لنفسه في الاماني الا في المقدار الذي يونس الوحشه وينفس الكربه فان استيلاء الاماني على النفوس كتامر السفل الذين يعبدون الروس اعجازا والاعجاز روسا ويسعون في قلب الاعيان وتغيير صورة الصواب فقال

الغزال للظبي لابد لي من اللحاق باشكالي فلما راى الظبي ان الغزال غير
منته وخاف ان يقعبه قبل بلوغه ماتمناه لانه غرٌّ لا يعرف التحرزمن مكايد
الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه ليقضي حق حرمة الفته فرصد
حينًا يمكنه فيه الفرار وخرجا جميعا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال
فرح ومرح وذهب يعدو ولا يثنيه شيءٌ فسقط في اخدود ضيق قد قطعه
السيل فنشب فانتظران ياتيه الظبي ليخلصه فلم ياته فبقي هناك واما ولد
التاجر فانه لما اصبح وعدم الغزال والظبي جزع لفقدهما واشفق عليه ابوه
فاستدعى كل من يعاني الصيد بذلك البلد فعرفهم القضية وكلفهم طلب
الظبي والغزال ووعد من وجدهما وعدا مرغوبا فيه وانبثوا في سهل
الارض وحزنها وركب التاجر دابته وفرق اتباعه على باب المدينـــة
ينتظرون من يجي من الصيادين وانطلق هو وعبدان من عبيده حتى اتوا
الصحراء فراى على بعد رجلا منكبا على شي بين يديه فاسرع نحوه فاذا هو
صياد قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه فتامله التاجر فاذا هو ذلك الظبي
الذي يطلبه فخلصه من يد الصياد وامر عبديه ففتشاه فوجدا معه الحلي
الذى كان على الظبي فساله كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال اني بت
في الصحراء اتصيد فنصبت شركا وكنت قريبا منه فلما اصبحت جآء هذا
الظبي ومعه غزال فظل الغزال يعدو ويمرح في جهة غير جهة الشرك
وجاء هذا الظبي يمشي حتى حصل في الشرك فاخذته وقصدت به المدينة

فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى اني مخطئ في ادخال الظبي المدينه حيا لعلي
نه اذا روى طولبت بما كان عليه من الزينة فرايت ان اذبحه وادخل به
كما ترى فهذا خبرى فقال له التاجر لقد جنى عليه شحك الخيبة والحرمان
فما عليك لو اطلقته فذهب وحصلت انت حليه وزينته ولقد صدق
القائل لا يدخل الشره مدخلا الا اعقبه الحرمه ولا يدخل البخل مدخلا
الا اعقبه الحسرة الا تري ان من حملة البخل والشره على اكل اللقمه التي
عافتها نفسهُ كان متعرضا للحرمة بتهوع ما اكلهُ والحسرة عليه عند مفارقته
ثم ان التاجر بعث بالظبي الى ولده مع احد عبديه وقال لذلك الصياد
ارجع معي فارني الجهة التي رايت الغزال نحوها فرجع الى تلك الجهة وجعل
الصياد يفتش و يشرف المواضع المرتفعة ومشي التاجر الى رسله فسمع
رنين الغزال وهو صوته فصاح به التاجر ولما سمع الغزال صوته عرفه فصوت
فاتبع التاجر الصوت حتى قام عليه فاذا هو في اخدود أي شق في الارض
منتشبا فيه فاخذه ونادى الصياد فوهب له دراهم وصرفه ورجع بالغزال
لى والده فكملت مسرته بالغزال وجعل الغزال تجنب الظبي اذا رآه ولا
يالفه كما كان واذا حصل معه في موضع نفر منهُ اشد النفور . فصحت مسرة
الغلام لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الغزال والظبي على
حال الفة وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال يوما نائما في بيت اذ
دخل عليه الظبي يعاتبهُ على نفاره منهُ وطول هجره له فقال لهُ الغزال

انسيت غدرك بي احوج ماكنت الى عونك واوثق ماكنت بنصرتك
فقال له الظبي اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في علم التجربة
اوقعك في تهمة البري واني لم اتاخر عنك الا لما حصلت فيه مضطرًا
الى التاخر عنك عاجزًا عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه حصل
في شرك الصياد فعلم الغزال عذره وعادا الى تألفها قال فلما سمع عين
اهله حديث العجوز فهم ما ارادته من ذكر عجزها عن تخليصه امسك عن
خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحد سكت
فقال المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد ان تؤخر
اخباري بما كان من عاقبة عين اهله وما لقي من الذئب وما صنعت
معه العجوز فقال الوزير اني عاجز عن ذلك لفتور اجده في اعضاءي
فقال له المطران لاتفعل فان ذلك يسوءني ويشق عليّ احتماله فاحمل لي
على نفسك الليلة ايها الحكيم فاني راغب في تانيسك معجب باحاديثك
فقال الوزير افعل ذلك طالبا لمرضاتك ولو علمت ايها المطران ما
ادخرت لك من عجائب الاخبار وغرائب الاسمار لعجبت من ذلك اشد
العجب ثم اندفع يحدثه فقال ان عين اهله لما سمع حديث العجوز وفهم
ما ارادته امسك عنها ولبث ليلته تلك باسوء حال ولما اصبح دخل
عليه الذئب فنال منه وتعتعه وعنفه وتهدده بالقتل وزاده قيدًا الى قيده
وعرفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج عنه فجعل يعلل

نفسه بقية نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه الليل استوحش واحتوشته
الافكـار المرمضه وانتظر ان تجاس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل
وجعلت العجوز تكثر الدخول الى البيت الذي فيه عين اهله ولا
تستقر فيه فساء ظن عين اهله وايقن بالهلكة وما شك ان الذئب
يقتله تلك الليلة فاقبل علي البكاء حتى ذهب صدر من الليل ثم قال
للعجوز مالك لا تونسيني الليلة بحديثك ولا جلست اليّ فجلست اليه
العجوز وقالت له اما كان لك في رويتي قطعاء جدعاء مشوهة عوراء
سيئة الحال ما يحملك على التاسي والتسلي واحمد الله سبحانه واشكره على
سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء هو اعظم من بلائك حتى قلت هان
على الطليق ما لقي الاسير ولو اعتبرت باطن حالي بما ظهر لك فيها
لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع الي احدثك (اعلم) ايها الفتى
اني كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لي محسنا وبي رفيقـا ولي محبًا
فكنت معه في ارغد عيش واهناه فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له
اولادًا ذكورًا واناثًا وكبروا في رفاهية ونعمة فغضب الملك على زوجي
لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني انا وبناتي مفترقات
فاشتراني هذا الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية واساء
اليّ وكلفني من العمل مالا طاقة لي به واكثر معاقبتي على غير ذنب لما طبع
عليه من القسوة والفظاظة والغلظه فسالته مرارا ان يرفق بي واستعنت

عليه باخوانه ممن يكرم عليه لكي يخفف عني او يبيعني فلم يزده السوال
والشفاعات الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت
منه فتتبعني فادركني فجدع انفي ثم عاودته قسوته علي واضراره وعاودت
مسالته والاستشفاع اليه وهو مقيم على سوء رايه الى فمكثت بذلك سبع
سنين اخرى ثم فررت منه فظفر بي ففقاء عيني وعاود عسفي فمكثت سبع
سنين اخرى وفررت منه فظفر بي فقطع يدي وقال لي انما بقى لك من
اعضائك التي انتفع فيها عينك ويدك فان فررت بعد هذا قطعت
رجليك معا وابقيتك انتفع بعينك في الحراسة و يدك في العمل واقسم
على ذلك بغليظ الايمان وعاود عسفي ومضرتي وقد عزمت على ان
اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما انا فيه ولهذا رايتني
اكثر الدخول اليك والخروج عنك وانما ذلك لحزني وجزعي من
الموت وقد سابت نفسي على الموت ثم انها فتحت قيود عين اهله وقطعت
وثاقه وتناولت سكينا فقال لها عين اهله لئن تركتك تقتلين نفسك لقد
اشركتك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي نجو معا
او نعطب معا فقالت له ان كبر سني وضعف حالي و بدني ليمنعاني
من اتباعك والهرب معك فقال لها الليل متسع والموضع الذي نامن
اذا وصلنا اليه قريب ولي قوة على حملك فقالت العجوز اما اذا عزمت
على هذا فاني لا احوجك الى حملي مادامت بي مسكة وخرجا معا فلم

ينقض الليل حتي بلغا الى حيث امنا فجزاها عين اهله خيرًا بما صنعت واتخذها امًا يسمع لها ويطيع فهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم ولقد وددت ان لا افارقك ابدا وان سفري هذا يطول لتطول متعتي بك ويعظم حظي من انسك ولقد استعذبت مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض كل واحد منهما لمضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل امثاله ففهم ان الغزال مثل سابور وان الظبي مثل الوزير وان خروج الظبي مع الغزال الي الصحراء مثل لصحبة سابور وزيره لتاخره عن استنقاذه وعرف ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج به الى المدينة ليلاً وان المدينة قريبة منها وانه يحمله ان عجز عن المشي فايقن سابور بقرب الفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتي دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطران وللموكلين بحفظ سابور على حال خلوة فالقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير باكل زاده على ماجرت به عادته فلم يكن الا ساعة حتي استحوذ المرقد على جميعهم فانجدلوا على مراصدهم ومضاجعهم وبادر الوزير لفتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال الجامعة من عنقه ويديه وتلطف حتي اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جندي سابور وهي مدينة ملكه فانتهيا الى سورها فصرخ بهما الموكلون بحراسة السور فتقدم الوزير اليهم بخفض اصواتهم وعرفهم بنفسه

واعلمهم بسلامة ملكهم فابتدروا وادخلوها المدينة فقويت نفوس اهلها
وامرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان ياخذوا
اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب الاول خرجوا من المدينة
وافترقوا في عسكر الروم وقاموا على تعبية وتاهب حتى اذا ضربت الروم
النواقيس الضرب الثاني حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا
امره وانتخب سابور كتيبة عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم فيما يلي
الجهة التي فيها اخبية قيصر ولم تكن الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس
عن مقاومتهم وانهم قد بنوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمتهم الفرس
وعجزوا عن مقاومتهم واخذ سابور قيصر اسيرًا وغنم جميع عسكره واحتوى
على خزائنه ولم ينج من جنوده الاّ الشريد وعاد سابور الى قرار ملكه فقسم
الغنائم بين اهله وعسكره وافاض بالصلاة على جميع من في مدينته بقدر
احوالهم واحسن الى حفظة ملكه وشرفهم وفوض جميع اموره الى وزيره
الذي خلصه ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال له اني مبق عليك كما
ابقيت علي وغير مجازيك بتضييق محبسي ولكني اخذك باصلاح جميع
ما افسدت في جميع ممالكي فتبني ماهدمته وتغرس مكان كل نخلة قطعتها
زيتونة وتطلق كل من في مملكتك من اساري الفرس فضمن قيصر له
ذلك ولما انتهى في الاصلاح الى بناء ما انثلم من سور مدينة جندي
سابور قال سابور لقيصر انما تبنيه من تراب بلادك فامر قيصر رعيته

من الروم بحمل التراب من بلادهم الي جندي سابور فرقع ما انثلم من
سورها ولما تم لسابور ما اراد من ذلك كلـه احسن اليه واطلقه الى
دار مملكته بعد ان قال له خذ اهبتك واستعد عدتك فاني غاز ارضك
عن قريب (قال) الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه
لقد بلغت بهذه السلوانة الغاية التي يحتملها هذا الكتاب والحمد على
ماتيسر من ذاك دائما وصلي الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

السلوانة الثالثـة

وهي سلوانة الصبر

وهو ثمرة التاسي قال ربنا تقدس اسمه مخاطبًا صفية المكين لديه
ونبيه العزيز عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك
في ضيق مما يمكرون وهذا لما تالب المبطلون عليه وقصدو المكر والمكروه
اليه كما اخبر الله سبحانه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك وكان روساء قريش اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في
امر النبي صلي الله عليه وسلم فاتاهم ابليس في صورة شيخ اعرابي فارادوا
اخراجه عنهم فقال لهم اني من اهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني
ما اجتمعتم له ولعلكم لا تعدمون من محضري خيرًا فاخذوا في تشاورهم
وقال عتبة اري ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم وان
قتل كنتم قد كفيتم امر دمه فقال ابليس ماهذا براي اما سمعتم حلاوة

منطقه واخذه في القلوب فلا تامنوا ان يقع في حي من احياء العرب فيفسد اهواءهم ويسير بهم اليكم حتى يفرق جماعتكم فقال آخر منهم ارى ان يوثق ويحبس حتى ياتى اجله وهو في حبسه فقال ابليس ليس هذا براي اما علمتم ان له اهل بيت واتباعا لا يرضون منكم بهذا فيقع الحرب بينكم ويهن امركم ثم قد تكون الدائرة عليكم فقال ابو جهل اري ان ناخذ من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جلدا و يعطى كل واحد منهم سيفا وياتونه في مضجعه و يضربونه ضربة رجل واحد فلا يقدر اهله ان يطلبوا بدمه جميع القبائل اذا افترق دمه فيها فقال ابليس لقد اصاب الراى فتفرقوا على راي ابي جهل لعنه الله فاوحى الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم يعرفه مكرهم ويامره بالهجرة الى طيبة وجاء الذين تخيروهم من القبائل للفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم الي منزلة من اول الليل فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليًا كرم الله وجهه ان يلبس برده الاخضر و ينام على فراشه واعلمه ان لا يصله من قريش مكروه فالتحف علي رضي الله عنه ببردة صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته والقوم على الباب فقرأ اوائل سورة يس والقران الحكيم واخذ كفا من التراب وجعل علي روس القوم وهم لا يرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم متوجهًا نحو الغار وجعل المشركون ينظرون الى علي رضي الله عنه في مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برده الاخضر فيقولون

هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول عليه حتي اصبحوا وقام علي رضي الله عنه فنظروا اليه فاتوه وقالوا اين محمد فقال لا ادري امرتموه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة ثم تركوه رضي الله عنه (خبر نبوي) في الصبر مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل والعمل قائده والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده فناهيك بخصلة تنامر على هذه الخصال وليس المراد تفضيل الصبر على العقل والعلم وما ذكر من الخصال معها ولكن المراد ان بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف بها لان معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشي من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه والملازمة له كان عند مزايلته كمن لم يتصف به فالصبر لهذه الخصائص الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده عن مزايلة مراكزها والاخلال مما نصبت له من دفاع وانتفاع والله اعلم

منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روي ان عليّاً رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل ان مما كتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر (اعلم) رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومضله ذليل وان الصبر درج يفضى بمن عرج الي الفرج وان اقل فوائد الصبر على البلية ان الصابر عليها

ينغص لذة عدوة المتشفي الشامت به والصبر صبران صبر العامة وهو عمل اشباح وصبر الخاصة وهو عمل ارواح وقد احكم هذا المعنى حبيب ابن اوس الطائي فقال

ولباس سرد الصبر مدرع له · في الحادث الجلل ادراع السلام
والصبر بالارواح يعرف فضله · صبر الملوك وليس بالاجسام

قوله ادراع اللام اي الدروع والدرع لامة وجمعها لام

وقال حبيب ايضا فاحسن

واذا رايت اسى امرئ او صبره · يوما فقد ابصرت صورة رأيه

وقال نهشل بن جزء

ويوم كان المصطلين بحره · وان لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوخ وانما · تفرج ايام الكريهة بالصبر

قوله يبوخ اى يخبو وهما سواء وقلت في ذلك

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه · ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره · فقد قل مما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم

الصبر اولي بوقار الفتى · من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله · كان على ايامه بالخيار

وقال عمرو ذو الكلب

ومقعد كربة قد كنت فيها مكان الاصبعين من القبال
صبرت لها وكنت اخا حفاظ اذا خام اللئام عن النزال
فهذا والمنية من ورائي ستطرقني بها احدى الليالي

(قال) الامام حجة الدين ابو هاشم محمد ابن ظفر رضي الله عنه هذا نموذج من القول في الصبر على الجملة وهو يتنوع انواعا والنوع اللائق بكتابنا هذا منها هو صبر الملوك وصبر الملوك عبارة عن ثلاثه قوى . القوة الاولى قوه الحلم وثمرتها العفو والقوة الثانية قوه الكلأة والحفظ وثمرتها عمارة المملكة والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات واما ثمرتها في حماة المملكة من المقاتلة فالاقدام في المعارك ولا يراد من الملك الاقدام في المكافحة فان ذلك من الملك تهور وطيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلاً للمنهزمين وهذا مادام بحضرته من يثق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته له فلقد ذكروا عن الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج شبقا فدخل قصر كسري انو شروان والفيل اذا اغتلم انكر سواسه ولم يثبت له شيء الا اتى عليه قالوا وان ذلك الفيل قصد مجلسًا كان فيه كسرى وكان فيه جماعة من كفاة اصحابه فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى على سريره وثبت معه رجل كان مكينا معه عنده يثق بثباته فقام ذلك الاسوار بين يدي سرير كسرى وبيده طبرزين وقصد الفيل

فثبت له حتى غشيه فضربه بالطبرزين على فنطسته فكر الفيل راجعا من حيث جاء وقد نالت منه الضربة منالا شديدا وكسرى لم يتحلحل من مجلسه ولا تغيرت هيبته ولا فارقته أبهته فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فان لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن منه حينئذ أن يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب على ظنه الامتناع منهم بالاقدام عليهم او بانهزامه اذا اتاه ما لا قبل له به واشفق من عطب رعيته بهلكه كما حكي ان موسى الهادي كان يوما في بستان ومعه اهل بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه سلاح فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جيء به اسيرًا وكان الهادي حريصا على الظفر به فامر بادخاله فادخل بين رجلين قد امسكا بيده فلما رأى الخارجي الهادى جذب يديه من الرجلين اللذين كانا يمسكانه واخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادي ولما رأى ذلك من حول الهادي من اهله وخاصته فروا جميعا وبقي الهادي وحده فثبت على حماره بمكانه حتى اذا قرب الخارجي منه وكاد يعلوه بالسيف قال الهادي اضرب يا غلام عنقه فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ووثب الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي والخارجي تحته فقبض الهادي على يديه وانتزع منه السيف فذبحه به ثم عاد الى ظهر حماره وتراجع اليه خاصته واهله يتسللون وقد ملئوا رعبًا وحياء وما خاطبهم في ذلك بحرف واحد

ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيف ولم يركب الا الخيل وقد جلا عنك هذا الخبر ما ايد الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصالة الراي وشدة الكيد وشجاعة القلب والبدن رحمه الله تعالى

روضة رائقه • ورياضة فائقه

قيل وصف لكسرى انوشروان ارض من التخوم الهدية تاخم اقليم بابل فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهواء والماء وكثرة الاتاوة و زكاء الاثمار وكثرة العمائر وحصانة المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة النهوم وشجاعة القارب وقوة الابدان والصبر على العارة وملازمة الطاعة ولين المقادة فشرهت نفس كسري الى تملك تلك الارض والتكثر باهلها وكان يقال الشره اعرق الخصال في اللوم والحرص ابوه الذي يولده والبغي ابنه الذي يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه وكان يقال من شره وقع فيما كره وكان يقال الشره شره ينتجها الطبع ويهيجها الطمع قيل فلما طمحت نفس انو شروان الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر انه عظيم من اراكنة الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته الا انه سالك صراطا من العدل لايجور ومالك منهلا من البذل لا يغور ورافته برعيته قد اشربت قلوبهم وده وصرفت امالهم الى ماعنده فندب له كسرى رجلا من ثقاة اصحابه قد اقتبس ادبا من آداب الملوك وتفقه في سياستهم وكان ذا دهاء ومكر وحزامة وفكر فامره

بتامل تلك الارض والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتطلب عوراتها وتفقد اخلاق ملكها واهلها وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول في طاعته ويحذره التعرض لصولته بمخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبالغ في بره وتكرمته وعمى عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن التصرف وفي قبض الناس عن لقائه واحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه وندب لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من دهاة اصحابه فامره بالتجسس على انبائه والتلطف في مداخلته ومخاتلته فانطلق ذاك الجاسوس فاكترى حانوتا بحذاء دار الرسول وملأه فخارا وجلس فيه لبيع الفخار وكان للرسول غلام يخف في حوائجه ويتصرف في مآربه فجعل الجاسوس اذا راى ذلك الغلام هش له واكرمه وساله عما له من حاجة الى ان انس به الغلام فكان يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث بذلك مدة لا يساله عن شيء من امر سيده فلما تاكد انس الغلام به قال له من تكون ومن يكون لك في هذه الدار التي تدخلها فقال له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا تعرفني فقال الجاسوس وما علي فقال له الغلام انا غلام رسول كسرى وسيدى في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله فقال الغلام كسرى ملك بابل ارسل سيدى الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفته حين ذكرت لى بابل لاني كنت في صباي اجيرا لرجل من اهل بابل ثم امسك عن الغلام ايام

لا يساله عن شيء وكان يقال التنقير تنفير وكان يقال التنقيب يريب الاريب وقيل من تسارع الى المشاركة في السر فلا لوم على من اتهمه بالاذاعة ومن تنصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع ومن عنى بكشف مايستر عنه فلا لوم على من اتهمه بخبث الطباع قيل ثم ان الجاسوس قال للغلام يومًا اذا خرج مولاك فارني اياه فقال الغلام ان مولاى لا يتصرف فقال الجاسوس امريض هو فقال الغلام لا ولكن ملككم حظر عليه الخروج وعلى الناس الدخول عليه فبكي الجاسوس فقال الغلام له ما الذي ابكاك فقال الجاسوس ابكتني الرحمة لمولاك مما هو فيه لانني ابتليت بمثله وذلك اني حبست مرة في دين كان عليّ ومنعت امراتي من الدخول اليّ فلولا ان الله سبحانه منّ عليّ برجل كان محبوسا معي وكان يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث مولاك وتسليه فقال الغلام اني لا اعرف هذا ولا ادرى خبرًا اطرفه به فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك فقال الغلام بلى احسن الى بذلك فقال له الجاسوس اذا خرجت من عند مولاك فطف في المدينة وتامل فيها ما تراه فاذا رايت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واستمع مايفيضون فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت معه فقل له رايت كذا وكذا وسمعت من يقول كيت وكيت فان في هذا تسلية له وانسًا من وحشته ويوشك اذا فعلت ذلك ان تحظى به عنده ففعل الغلام ما امره به الجاسوس فقال

له سيده من دلك علي فعل هذا فقال الغلام انا فطنت له ففعلته فقال
له سيده كلا ليس هذا في قوى عقلك فاخبرني من دلك عليه فقال الغلام
دلنا عليه جار لنا يبيع الخمار ما رايت اجهل منه ولا ابله فقال له سيده
ما الذى دلك على جهله وبلهه فقال له الغلام انه صحبني اكثر من شهر وهو
لا يعرف من انا ولا من سيدى وذكرت له الملك وكسرى فاذا هو لا يعرفه
فلما سمع الرسول بذلك استرابه وحدس انه متجسس عليه لما راى انه قد
افرط في تجاهله وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتفل في غلوه
استفل من علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك قناع
المعقول كسماع المقول وكان يقال من لم تعرفك غائبا اذناه لم تعرفك
شاهدا عيناه (فلما) سمع الرسول مقالة عبده امره ان ياتيه به ففعل ولما
راه الرسول حقق ما ظنه به من كونه جاسوسا عليه فاكرمه وقربه وتظاهر
بغباوة وجهل لا مزيد عليها وساله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
متفقدا حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية ولما ظن ذلك الجاسوس
انه قد حصل ما اراد علمه من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره
ان ذلك الرسول فدم لا ذكاء له ولا غناء عنده اكثر من انه ذو نجدة
وفروسية فوثق الملك بقوله وتخيل الرسول بالصفة التي مثله بها الجاسوس
عنده وكان يقال لا يكن سمعك لاول مخبر ولا ثقتك لاول مجلس وكان
يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق والكذب فالقضاء له باحدهما قبل

الا متحان جور وكان يقال انما نقضي بصدق الخبر عصمة المخبر لا صدقه وشرح ذلك ان المخبر الصادق إذا لم يكن معصوما كان عرضة للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من التحريف فيما نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فقد ينظر الصادق المغفل الى الشمس فيخبر انها غير سائره وينظر الى القمر ودونه مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره ومن ينظر في سفينة جارية الى البر فيظن ان البر يجري ومن ينظر الى افعال الشعوذي فيخبر عن الاشياء بخلاف ماهي عليه ويسمع كلام الببغا المحجوبة عن بصره فيخبر عن انسان فلم يدخل الخلل من جهة تحريفه ولكن من جهة ادراكه (قيل) فلما وثق الاركن بمقالة جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه وخاطبه بكل قول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه واجزل صلتـــه ورده الى منزله مكرمًا مبرورا واباح له التصرف والإذن لمن اراد قصده في زيارته وتابع اتحافه وتكرمته ولبث بذلك عامًا ثم استحضره وسلم اليه جواب الكتاب واعطاه هدية الى كسري يقال انها كانت سيفًا طوله خمسة اشبار ولونه لون النحاس الاصفر يعمل في الحديد كما يعمل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق تسع منا من الطعام وكاسا من الزمرذ البحرى تسع رطلا من الشراب والف درة فريدة وقنديلا من المها فيه ياقوتة حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح ايلا القى شعاع الياقوتة على الالوان القابلة

الحمرة فلا يشك في حمرتها وطيبًا كثيرا ودروعًا ودرقًا وغير ذلك وخص الرسول بحباء وذخائر نفيسة وصرفه الي مرسله فلما قدم الرسول علي كسرى ساله عما ندبه لمعرفته فاخبره بطيب تلك الارض وفضائل خصائصها وشرف مزاياها وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة تؤتي منها الا غرارة سكانها فان عقولهم متهيئة لقبول الخدع محجوبة عن النظر في العواقب وان هذا هو موجب حسن طاعتهم لمن اولوا طاعته فلو ندب اليهم رجالا يحسنون نصب الدعوات الي الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا انصرفت طاعتهم لم يقم لملكهم بعد ذلك قائمة لانهم اعضاده الذين يصول بهم في الرخاء ثمار مجتناه وفي البلاء سيوف منتضاه فنظر كسري فيما كتب اليه الاركن فوجده قد خاطبه في الملاطفة واعترف بفضله وتملقه ورغب اليه في الموادعة والمواخاة فاستشار انو شروان وزراءه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته فاختلفوا عليه واجتمع رايهم على ان يرد هديته اليه ففعل ثم انه ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات وقلب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم وبين لهم مثالا يحذون عليه فنفذوا لما امرهم به حتي انتهوا الي مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها واعمل كل واحد قوته فيما انتدب له فلما اتي عليهم عامان احكموا ما ارادوا من ذلك في دار مملكة الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه وكتبوا بذلك الى كسري فحرك لهم المرزبان

المتولي ربع المملكة المقابلة لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم بابل كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما شرع ذالك المرزبان الحشد والاعداد كتب عيون الاركن بتلك الجهة اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لهذه الجهة من بلاده قد اخذ في حشد الاجناد وتاهب للاستعداد فعلم الاركن انه قاصده ونجم النفاق ببلده وتحدث الناس في قصد المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة رجال اربعة منهم وزراؤه والخامس هو صاحب بيوت النار وروس الزمازمة الذين ياخذون عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم ما بلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان لقصد بلاده واظهر لهم الحاجة الي كفايتهم فجلسوا يتناظرون في ابتغاء صواب الراي فقال احد الوزراء الاربعة الراي ان يستصلح الملك رعيته فيملأ ايديهم رغبات وقلوبهم آمالا حتي يستقيم معوجها ويأنس نافرها فان عدونا اذا علم بذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بكلمة مجتمعة وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح هذا من الرعية لو كان فسادها انما اوجبه هضم جور وعسف سيرة يزال عنها سبب فسادها فتصلح وليس رعية الملك بهذه الصفة وانما اورد عليها الفساد جهلها بمواقع الصواب وبطرها لترادف النعم وقد (قيل) اربعة اذا افسدهم البطر

لم تزدهم التكرمة الا فسادًا الولد والزوجة والخادم والرعية وضربوا
لذلك مثلا القوى الاربع المرذولة اذا هاجت لتعدي حدودها المصلحة
وهي الغضب اذا تعدى حد الشجاعة وحد الانفة من الرذائل والشهوة
اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتساب الفضائل والحرص اذا
تعدي حد الكفاية والكسل اذا تعدي حد راحة الجسم من كد
اكتساب المصالح فان هذه القوي الاربع اذا تعدت هذه الحدود لم تزدها
المداراة والرفق الا هيجانًا وطغيانًا وانما تعاني بحسم موادها فقال الملك
صدق الحكيم ثم قال وزير ثانٍ من الوزراء الاربعة الراي عندي ان
نضرب بمن صلح من الرعية من فسد منها حتى يستقيم ويستوثق لنا ثم
نلقي عدونا بمن لانخاف زغله ولانحذر غشه لانا مضطرون الى الحرب
لان عدونا لايرضيه الا اخذ ما بايدينا جملة فقال رئيس الزمازمة هذا
انفع لعدونا من جيشه وادعى الى طاعته من دعاته مع انه اذا علم بحربنا
فيما بيننا وتناصبنا ذهبت هيبتنا من نفسه وبلغ فينا امله وقد قالت الحكماء
اربعة من استقبلهم بالعنف والردع في اربعة احوال هالك بها الملك
في حال غضبه والسيل في حال صدمته والفيل في حال غلمته والعامة في
حال هيجها وموجها وقالوا ان اشبه شيءٍ بردع العامه عند تمرها وهيجها
معاناة الجدري في حال انبعاثه الي سطح الجسد بالاطليه الرادعة فقال
الملك صدق الحكيم ثم قال وزير ثالث الراي عندي ان نطلب تعيين

من فسدت طاعته من الرعية فنميزه ممن سواه ثم نرى راينا فيه بما
يقتضيه حاله من قلة او كثرة وضعة او نباهة وضعف او قوة فنقابله بما
يوجبه حاله من التدبير فقال رئيس الزمازمة البحث عن هذا الان خطر
عظيم لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق بعدونا واعتماده بالنصائح
ودلالته على عورتنا واذا التحق بعدونا قاتل معه على بصيرة ليست
لعدونا و يذل جهده في العود الى وطنه واهله وماله وعدونا لا يقاتلنا على
مثل ذلك وربما لا ينفصل المريب بل يقاومنا بموضعه ويكاشفنا ويتكثر
علينا بشكله من الرعية فيضرنا وان لم يكن على مثل رايه بعلة مشاكلته
له كما ان الكلبين لا يمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذئب اذا
ابصراه ولا يلتفتان الى تحقق الذئب في الخلق الكلبي ولكنهما ينافرانه
و يصطلحان في التعاون عليه نظرًا الى خصيصتي توحشه وانفته وعلو همته
فينافره لذلك ويالف العامي الذي يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكله
وقد قالت الحكماء ثلاثة ان كاشفتهم بالامتحان في ثلاثة احوال خسرتهم
مودبك في حال استقلالك وصديقك في حال اختلالك وامراتك في
حال اكتهالك والرعية كالزوج وادبار الدولة كالاكتهال وقالوا مثل
ذلك مثل امتحان قوي مغذي الناقهين من الامراض بالاطعمة الغليظة
فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان اوسعهم فضلا
وافضلهم رايًا اما انا فاحدث الملك حديثًا اخبرني به مودبي وكان من

آخر ما افادنية وقال اخزن هذا الحديث في جنة قلبك ولا تتمنى ان
تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه واني لاحسبه هذا اليوم فقال له
الملك نسمع لحديثك فقال رئيس الزمازمة ما اولاه بالاصابه فقالوا
الوزراء الثلاثة انه لكذلك فقال الوزير الرابع انما نحن كاصابع الراحة
في افتقار بعضنا الى بعض وقوة بعضنا ببعض وتزين بعضنا ببعض ثم
انا نستمد من نور عقل الملك السعيد بنظرنا اليه كما تستمد الدراري من
نور الشمس وكلنا الى الملك محتاج وبه متعضد فقال الملك قل ايها
الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن نبت عنه فانتم في مناصحتنا
والغناء عنا والاداء الينا كالحواس الخمس الى القلب فسجدوا له اجمعون
ثم قال ذلك الوزير الرابع (زعم) مؤدبي ان رجلاً موسرًا من التجار
كان يأوي من داره الى بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك السقف وبطانته
فيران كثيرة فكن فيما اشتهين وادعين من الامنية وتيسر الطعمة يمرحن
النهار كله على حال طمانينة فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتفرقن في
مخزن التاجر ومساكن عياله فاكلن واحملن فكثر اذاهن على التاجر وانه
دخل يومًا مسكنه ذلك فاستلقى فيه مفكرًا في بعض امره وجعلت الفيران
تمرح على بطانة السقف والتراب يتساقط في خلل الالواح فضجر التاجر
ونهض مبادرا فامر بتحويل ما في البيت من الاثاث ثم امر عبيده فوضعوا
بطانة السقف وانتشر الفيران في الدار فقتلن شر قتلة ولم ينج منهن

الا جرذ وفارة كانا غائبين عن السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما
ومصارع الفيران في جميع الدار غمهما ذلك واقبل الجرذ على الفارة فقال
لها لقد صدق القائل من صحب الدنيا واثقا بها كالنائم في الظل الذي
يكون قبل بلوغ الشمس الى نصف دائرة فلكها الاعلى فيتقلص
الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد للظل عينا ولا اثرا
فقالت الفارة صدقت فماذا ترى فقال الجرذ ارى ان لا اسكن في موضع
ينال منه هذا المنال وافر من الانس جهدي فان هيجهم شديد وحيلهم امضى
من غيرهم من العوالم فقالت الفارة وانا معك (فانطلقا) حتى اتيا ارضا
برازا جرزا ذات اخلاط من الوحوش فكشف واديا معشبا فيه غدران
ماء ذات ضفادع وسلاحف فاعجبهما ذلك وسارا في الوادي يلتمسان
موضعا يحتفران فيه جحرا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد انجاب عنها مسيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك الربوة جحرا
رضياه واوطناه وانهما علوا يوما من الايام تلك الرابية فرايا في اعلاها
يربوعا قد علت سنه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما وسالهما عن
امرهما فاخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا جحرا في اصل تلك الرابية فقال
لهما اليربوع لولا ان التنصح كثيرا ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له
ما احوجنا الى نصحك فقال لهما انه كان يقال اربع لا تقدم عليها حتى تسال
عنها الخبير بها السوق لا تقدم عليه حتى تسال عن النافق والكاسد فيه

والمراة لا تقدم علي خطبتها حتي تسال عن منصبها وخلقها والطريق لا تسلكها حتي تسال عن امنها وخوفها والبلد لا توطنها حتى تسال عن مرافقها وسيرة اخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها و يعاديهم وكان يقال انظر الى المتنصح فان اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك فاصغ اليه وعول عليه وكان يقال ان لم تعن ناصحك على نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجًا قبل ان يقوم العود في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم مايغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره يدلك رابه علي اصح دلالة وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة في امر فشاور ذوي الحنكه والتجربه من اهل طبقتك وذوي صناعتك ولا تعدل بهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لكونه خارجا عن معالم خصائصك وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان التعاطي يزيد المتعلق به شرًا ويعرضه في مواسم الخزي وهذا كالضعيف يتعاطي القوة وكالجاهل يتعاطى الحلم وكالفقير يتعاطى الغنى واعلما انني قد جمعني واياكما مناسبة صناعية وهي حفر الجحرة الا انني في علمها ارسخ منكما فانتقلا عن جحركما فانه بئس الجحر ومن شر الاوطان وانا ابن بجدة هذه الارض والخبير بها وقد قيل قتل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا مأوى سواه فخرجا من عند اليربوع يهذآن به ويسخران منه و ينسبانه الى الهرم والخرف

ورجعا الي جحرهما فلبثا به مدة طويلة وولدا فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج
يوما من الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا نحو
الربوة فاذا السيل قد جري في الوادي واحدق بالربوة وارتفع حتي
عادت الربوة مثل البحر العجاج فوقف علي ضفة الوادي ينظر لفساد
وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب ما اعد من طعمه فراى اليربوع قائما
على الربوة آمنا فناداه اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة الحزم
ومعصية الخبير النصيح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال اليربوع للجرذ هون
عليك وخفض من حسراتك فان النعمة في بقاء نفسك تربي على المصيبة
باهلك وولدك فآنس النعمة بالشكر تالفك فتستمتع بها وانه كان يقال
اظهر البشر لثلاثة للصديق والغريم والنعمة وكان يقال الحر لا يدخله
اساءة من كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكان يقال اذا
احسن اليك محسن ثم تنكر لك بمساءة فلا تنقبض عنه ودم على شكرك
له وبرك به فان ذلك اوجه شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ماكان
اشقاني ايها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك وبحق قيل ينبغي للعاقل ان
يصحب العلماء المدين بالحكمة والاداب ولو كنت بصيرا لعلمت انك
ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة الكؤود هبوطها على ضعف
بدنك وكبر سنك الا لامر اقتضته الحكمة واوجبه الراي المصيب ثم ان
الجرذ امهل حتي ذهب السيل فصعد الى الربوة واتخذ جحرا الى جانب

حجر اليربوع فاوطنه امنا قرير العين فهذا ما اخبرني به مودبي فقال الملك صدقت ايها الحكيم الوزير الصالح قائلا وسددت ناصحًا واصبت مشيرا وتلطفت مبلغًا ودعوت سميعًا فالتمس ربوة ترضاها لاستقرارنا نلزم انفسنا الصبر على صعودها وتقصرفيها عن مالوف ملاذها وانبساطها في هذا العالم الخبيث فلعلنا ان نجتني السلامة التي اجتناها اليربوع من سيل هذه الفتن فقال الوزير ايها الملك السعيد المفدى بالنفوس الزكية عشت ما بدا لك ان تعيش ونلت ما املت فما اعجب قبولك ما نهديه اليك من نعمك ونجلوه عليك من ملحك وحلك فاني لاعرف في ناحية من ممالكك معقلا تطل منه على اهل الارض اطلال زحل على الكواكب تتقاتل دونك الابصار اللامحة والافكار الطامحة وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء مسيل وحدائق باسقه ومرافق شاهقه وقد كان بعض سلف الملك السعيد عني به بعض العناية فقطع عليه امله الدثور القاطع عقود الحياة فلما سمع الملك ماد له عليه وزيره ملئ سرورا وركب من فوره فوجده في راي عينه افضل مما صوره الوزير في نفسه ووجد به رسوما وثيقة وآثارا اثرها بعض من تقدم من ابائه فحشد اليه المهندسين والبنائين والعمال وامرهم بالجد في اكماله و بادر من فوره فنقل اليه خاص بيوت امواله وخزائن سلاحه ونفائس ذخائره وحشد لحمل الارز اليه فاودعه من الارز المقشور وغير المقشور ما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الارز الذي

لم يفشر طويل البقـاء واعد لنزوله عدته وهو مع ذلك يسد الثغور ويجند الاجناد ويشيد الحصون فلما مضت له ثلاثة اشهر من يوم كتب اليه جواسيسه بحركة المرزبان وحشده اقتحم المرزبان ثغوره في الجيوش المتوافره والعدة الكاملة وظهر دعاة كسرى بتلك الناحية في من استفسده من الرعيه فغلبوا على ما يليهم من البلاد واستعمل المرزبان عليها عمالا من ثقاة اصحابه ورتب فيها حماة من جنده ومن اهلها ثم دنا يطوى الارض فوافته جيوش الاركن فدافعته بعض الدفاع ثم انهزم من كان في قلبه دغل فانهزم الناصحون بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم واستبقي النفوس واخذ الاموال ثم تجاوزهم يطوي المملكة طي السجل وكان الاركن عندما اقتحم المرزبان ثغوره قد بعث باهلـه وحشمـه الى ذلك المعقل وجمع وجوه قاطني حضرته فوعظهم وذكرهم ما سلف من احسانه وذكر ما بلغه عنهم من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيئين منهم فتنصلوا مما قذفوا به عنده وحلفوا على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم الملك اني لم اجمعكم لهذا ولست بنا كل عن عدوي ولا بمستبعد الظفر به والنصر عليه ولا تهمة لاحد منكم غير انه اخبرني بعض وزرائي عن ملك من سلفي انه شرع في بناء معقل وعني به بعض العناية فحال بينه وبين عنائه واتمام ما اراد الانحلال المحتوم على عالم التركيب فحملني على تكمله ما شرع فيه جدى قول الحكيم ان ابر الملوك

من تم به سعي سلفه واعقهم من انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من عددى وذخائرى لقول الحكيم ان احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا العقل احكامًا وقوله يجب على الملك ان لا يخلو من خمسة معاقل يتحصن بها احدها وزير صالح يتحصن برايه والثانى سيف قاطع يتحصن بحده اذا غشي والثالث فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع امراة حسناء يحصن بها فرجه وبصره والخامس قلعة منيعة يتحصن بحلولها اذا احتيط به فاتخذت هذا المعقل لتكمل به حصوني ونقلت اليه ذخائري وما يكرم علي فمن اراد منكم ان يقتدى بي في فعل آخذًا بالحزم فليفعل (ولما) فرغ من مخاطبتهم اذن لهم فخرجوا من عنده واقتدى به منهم من كان ذا عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك المعقل اهليهم واموالهم واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طى السجل لايقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حضرة الاركن فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد كان الاركن في اربعة الاف مقاتل من عبيده وخاصته وثقات اصحابه فقام بهم في معزل عن جيوشه ورعيته بظاهر المدينة وعبا خيوله ورتب صفوفه وكان في المدينة داعيان من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج الملك عن المدينة فظهرا فاتبعهما من كان اطاعهما فوثبوا بخليفة الملك على المدينة فقتلوه واستولوا على المدينة وضبطوها وبينما الملك قائم بجنوده بظاهر المدينة اتاه

رئيس الزمازمة حافياً حاسرا يلطم على وجهه وينتف شعره فامر الملك
بحمله معه على فيله واستخبره فاخبره بدهاء دار ملكه وخيانة رعينه فانحاز
الملك بخاصته ومن كان على بصيرة في طاعته وتوجهوا حامية نحو الحصن
وانتهى خبره الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازائهم من
كفي امرهم وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه قصد المدينة
فدخلها وضبطها واحكم امرها وسار في جيوشه الى ذلك الحصن فراى
منظرا عجيباً رائعاً ومعقلاً ممنوعاً مانعاً ولم يمكنه النزول بالقرب منه
فرَكض الى حيث امن ونزل في جيوشه متحفظاً وكتب الي الملك الهندى
كتاباً يخاطبهُ فيه بالاعظام والاجلال ويعرض عليه خصالا منها ان
يرده الى مملكته مكرما موفورا على ان يدين بطاعة كسرى فلما انتهى
رسول المرزبان الى الملك الهندي حجبه ولم ياخذ كتابه وامره بالعود الى
مرسله فيئس المرزبان منه وكان يقال صرفك البصر الي عدوك اضاعة
واصغاوك السمع الي حديثه طاعة وكان يقال اذا امكنت عدوك من
اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهن سحره وكان يقال
عجبا لمن يصغى الي عدوه سمعا وهو لايجد عنده نفعا وكان يقال اذا عجزت
عن التحصن من كلام عدوك فانت عن التحصن من كيده اعجز (ثم) ان
المرزبان عاد الى المدينة وكتب الى كسرى بالفتح وما تهياء له وعليه من
من الامور وكتب اليه كسرى يامرة ان يقيم بتلك المملكة ويترك

التعرض لذلك الاركن في حصنه الا ان يبدو منه فساد او يدل العيون عليه ويقيم المسالح في جهات حصنه ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك مدة وجعل اغتام الفرس يعيشون في تلك المملكة ويعاملون اهلها بالفظاظة والقسوة التي طبع الهند على ضدها فدبت الشحناء بالنفوس وداخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما راوا ان خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق في غير اهلها وعرفوا فضل ماكانوا فيه ومشقة ماصاروا اليه فبسطوا السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم عن القول فيستوحشوا فكف عنهم وكان ذلك داعية الى زيادتهم في بسط الالسنة وكان يقال ايدى الرعية تبعا لالسنتها فاذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تصول وكان يقال ترك نكير الصغائر مدعاة الى الكبائر فاول نشوز المراة كلمة سومحت بها واول حرن الدابة حرنة سوعدت عليها (قيل) واما الاركن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراءه فاشاروا بالصبر وكف الاذى وبسط العدل والاحسان وتامين السبيل واجارة المستجير وتالف المستوحش والاخذ بالافضل وبالعفو فاتخذ هذه الخلال دينا وشرعا تدين به فازدادت سمعته حسنا والقلوب اليه ميلا والالسنة له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور اساء السيرة فقام اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره العامل ذلك وكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض

امرة ويولب العامة عليه فكتب اليه المرزبان يامره بحمله اليه مقيدا
فاخذ العامل الرجل فقيده وبعث به الى المرزبان مع رجل من الجند
فتبعهم احداث من فتيان ذلك الثغر وفتاكهم فقتلوا اولئك الموكلين
بذلك الرجل واطلقوه فاتي الرجل العامل فاخبره بما فعل اولئك
الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر العامل فضربت عنقه وكان ذا منزلة
عند اهل بلده فوثبوا بالعامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم
وانضم اليهم من كان على مثل رايهم ومن كان في غير حصن وكاتبوا من
يليهم فاجابوهم بمثل ماصنعوه وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة لكسرى
في مواضع كثيرة من تلك المملكة في اسرع مدة ولما انتهى ذلك الى المرزبان
جمع جنده وضبط حضرته على حال ذعر وتوق شديد وكتب الى كسرى
يستمده وكان اهل حضرته عندما خرج عنهم رئيس الزمازمة وتوجه مع
ملكهم الى حصنه علموا انهم لاغني لهم عما يتشيرون رانه في مهاتهم فقدموا
مكانه خليفة وكان مرضياً عندهم فلما راى مافيه المرزبان من الذعر
والتوقي وقصده من خافه بالمحنة والعقوبة دخل على المرزبان فقال له
اني اريد ان اسالك عن امر ظننت انّ علمهُ عندك فقال المرزبان قل
فقال بلغني ان ما اوصى بهِ ازدشير بن بابك ملك بابل انهُ قال قد تخرج
الرعية بعنف السياسة الى ماتريد من المعصية وانهُ قال في وصيتهِ ينبغي
لمن غلب على ملك وغصبهُ ربهُ ان يحفظ الصورة والشريطة التي يسلم

عليها تلك المملكة فانها محفوظة عليه وثابتة في عقد تسلم تلك المملكة منهُ وانها ستخرج من يديه بمثل ماصارت اليه وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة في مجلسه بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان ما اراد الا انه اراد الوقوف على اخر ماعنده فقال لهُ الامر على مابلغك ايها الشيخ فقال رئيس الزمازمة اذا كان الامر على مابلغني فمالك لم تستعمل الحكمة التي علمت وعنفت في سياسة الرعية عنفا احرجها ولعلهُ ان يخرجها ولم تحذر حروج هذه المملكة من يديك بمثل ماصارت اليك فلما سمع المرزبان مقالة رئيس الزمازمة انتهره وهدده وكان شيخًا ضعيف البدن كبير السن فسقط الى الارض مغشيًا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت المصيبة بموته وساءت المقالة وسمحت النفوس من الشقاق بما كانت منقبضة عنه وفشا ذلك في الرعية فشوًا تامًا فاستحضر المرزبان وجوه من بحضرته وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العاقبة فارضوه بالسنتهم وتسللوا عنه وغاظ امر اهل الاطراف المنقضة وشغل عنهم المرزبان بتحصين البيضة فبعثوا الى الاركن الذي كان معهم يسالونه الصفح عنهم وان يبعث اليهم رجلاً يحيزون اليه فاعطاهم امانًا عامًا واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستنصروا في طاعته ونصحوا في الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا فبعث فعادوا منهزمين مغلوبين ولم يجد بدًا من الخروج اليهم بنفسه فحصن

تلك المملكة واستخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى عدوه فلما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه فاستوعبوهم قتلا وتشريدا واحرزوا مدينتهم وبلغ المرزبان ذلك فاستمر لوجهه خارجًا من تلك المملكة حتي قدم على كسرى طريدا مفلولاً وعاد الاركن الي دار ملكه فجرى على سنن العدل والاخذ بالحزم ورفع شهواته واستعمل الحكمة التي افادته التجارب اليها

روضة رائقـــه • ورياضة فائقه

بلغني ان امير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت لو ان رجلا صادقا اخبرني عن نفسي وعن هؤلاء يعني الذين حصروه فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطأطات لهم فركبوك وتخادعت لهم فسلبوك وما اجراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت اجلس ثم قال هل لك علم بما يثير الفتن فقال نعم يا امير المؤمنين سألت عن هذا شيخًا من تنوخ كان بافعه قد نقب في البلاد وعلم علما جمًا فقال لي ان الفتنه يثيرها امران احدها اثرة تضغن الخاصة والثاني حلم يجرئ العامه فقال عثمان رضي الله تعالي عنه فهل سالته عما يخمدها قال نعم وقال لي ان الذي يخمد الفتن في ابتدائها استقالة العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة فاذا

استحكمت الفتنة فليس لها الا الازم يعني الصبر فقال عثمان رضي الله عنه نصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

تفسير الفاظ اشتمل عليها هذا الخبر

قوله باقعة اي داهية مجرب و يقال فلان باقعة اذا طاف بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله الاثرة هي اختصاص بعض المستحقين للشيء دون بعض وقوله الخامة يعني الخاصة وقوله تضغن اي تحقد والضغن الحقد وقوله الازم هو الصبر والحبس وحقيقته الامساك على الشيء بالاسنان قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد ابن ظفر رحمه الله هذا الحديث يحو الي ما ذكر الفرس ان يزدجرد بن بهرام سال حكيما من الفلاسفة ماصلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح الملك قال وزراوه اذا صلحوا صلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يسكنها اذا ثارت قال يظهرها جرآة عامة ويولدها استحقاق خاصة ويوكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامن معسر وغلظة ملول منكر ويقظة محروم فقال يزدجرد وما الذي يسكنها ايها الفاضل قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع بالصبر والرضى عن القضاء

السلوانة الرابعة

وهي سلوانة الرضى

قال ربنا نقدس اسمه عائبًا من خطاء حكمته وتدبيره وسخط قسمته وتقديره فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ثم نبههم على ما حرموه من فضيلة الرضي بقوله تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ووصف صفوته من خلقه بالرضى فقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ومما يفهمك معنى رضي الله عنهم ورضاهم عنه ان موسى عليه السلام قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحى الله تعالى اليه انك لن تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعًا فاوحى الله عز وجل اليه يا بن عمران رضاى في رضاك بقضايّ (خبر نبوي في الرضى) مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الهي اني اسالك الرضى بعد القضاء قيل انما قال بعد القضاء لان الرضي قبل القضاء انما هو عبارة عن العزم على الرضى وتوطين النفس على الرضا بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق الرضا بالقضاء بعد حصول القضاء (خبر نبوي) في مثل ذلك مما رويناه ان النبي صلي الله عليه وسلم لقى رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجة وانكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما الذى بلغ بك الى ما ارى قال المرض والحاجة يارسول الله فقال له افلا اعلمك

كلمات ان انت قلتهن اذهب الله عنك ماتجد فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدرا والحديبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبيه ما للقانع والراضي

مشور ومنظوم من الحكم في الرضا

روى ان عمر ابن الخطاب رضي الله تعالي عنه كتب الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضي فان استطعت ان ترضى والا فاصبر (اعلم) رحمك الله ان الرضى هو اطراح الاقتراح على العالم بالصلاح . اذا كان المقدر حقا كان سخطه حمقا . ومن رضى حظي . ومن ترك الاقتراح افلح واستراح . كن بالرضى عاملا قبل ان تكون معمولا وسر اليه عادلا والا صرت نحوه معدولا . وقيل للحسن البصري من اين اتي الخُلق قال من قلة الرضى عن الله فقيل له ومن اين قلة الرضى عن الله فقال من قلة المعرفة بالله وما قلته في الرضي

يا مفزعي فيما يجي وراحتي فيما مضي
عندي لما تقضيه ما يرضيك من حسن الرضى

ومن ذلك ايضا

كن من مدبرك الحكيم علا وجل على وجل
وارض القضاء فانه حتم اجل له اجل

ومن ذلك ايضا

يامن يرى حالي وان ليس لي في غير ما يرضيه اوطار
وليس لي ملتحد دونه ولا عليه لي انصار
حاشا لذاك الفضل والعزان يهلك من انت له جار
وان تشأ هلكي فيا مرحبا لكل ما تقضى وتختار
كل عذاب منك مستعذب مالم يكن بعدك والنار

ومما قلته ايضا

اذا انا لم ادفع قضاء كرهته بشيء سوى سخطي له وتبرمي
فصبري له من حسن معرفتي به كما ان رضواني به من تكرمي

روضة رائقه • ورياضة فائقه

قيل ان يزدجرد الاثيم بن سابور ذي الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور واخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغترابه وانه ينشاء بين امة نائية ذات همم عالية وعلوم ذكية ونفوس ابية وبهم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد فكره في خصائص الامم ومزاياها فراي ان العرب اولى الامم بتلك الاخلاق التي وصف له المنجمون ووقع اختياره عليها فكتب الى النعمان الاكبر بن امرئ القيس اللخمي فاستحضره واشخص اليه جماعة وافرة من رؤساء العرب وسادتها فوصلهم وبرهم واخبرهم بما يريد من تمليك النعمان عليهم

فانعموا له بذلك فشرف النعمان وتوجه وملكه عليهم وسلم اليهم
ابنه بهرام وامره بكفالته فاسترضع له النعمان اربع نسوة صحيحات الجسوم
ذكيات الفهوم طيبات الاعراق سريات الاخلاق امراتين من العرب
وامراتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلحن وانكفا ببهرام الى بلاده
فبنى له الخورنق لما اتفق عليه من طيب هوائه وفضيلة مائه وارضع
المرضعات بهرام اربعة اعوام ثم فصلنه وقد صار غلامًا جفر السرعة
نشأته وشبابه ولما استكمل بهرام خمسه اعوام قال للنعمان انظر في تعليمي
وما تحتاج الملوك الى تعلمه فجرت بينهما في ذلك محاورة وقد اودعتها في
كتابي المسمى درر الغرر المضمن انباء نجباء الابناء فكتب النعمان الى
يزدجرد يساله ان ينفذ الى ابنه رجالاً من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي
كتابتهم فارسل اليه يزدجرد بحاجته منهم ثم ان النعمان ضم الى بهرام
رجلاً من علماء العرب وحكمائها ودهاتها كان ذا بصر بالسياسة وبكثير من
اللغات وحفظه الاخبار وسيرها ومعرفة ايام العرب وغيره وكان اسمه جلسًا
وافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من العلم فلما اكمل من السن اثنتي
عشرة سنة فاق معلميه كلهم واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم
فصرفهم النعمان مكرمين وكره بهرام مفارقة جلس لكونه يجد عنده من
المحاسن والآداب والسياسة والاخبار والدهاء مالم يره مجتمعًا في غيره
واستدعى النعمان من يزدجرد من يعلم ولده الفروسية والرماية وما يحتاج

له المحارب فبعث اليه يزدجرد من اراد منهم فمكثوا عند النعمان ثلاثة سنين واستفاد جميع ماعندهم من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جلسا لشغفه به ولما استوفى من السن خمس عشرة سنة استاذن النعمان الملك يزدجرد في القدوم اليه بولده فاذن له فوفد النعمان على يزدجرد بولده بهرام واوفد معه روساء العرب ووزراءها فاحسن يزدجرد وفادتهم واكرم نزلهم واجزل صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه بهرام عنده واحتبس بهرام جلسا لعلوق نفسه به وكان يزدجرد فظا غليظ القلب عسوفا شديد الكبر غليظ الحجاب مجتريا على سفك الدماء واغتصاب الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوه التي طبع عليها واتعبه وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره فشكا ذلك الى جلس فرق جلس لشكواه ثم اقبل عليه فقال مامعناه جلا الله كربك واعلى كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم وافواهها وكب لعزك ملوك العرب والعجم على جباهها اولى الناس بامحاض النصيحة من كان معروفا بها ومندوبا اليها ومدعوا لها ومحضوضا عليها وانه كان يقال النصائح بشعة المبادي حلوة العواقب فهي كالادوية يسوء استعمالها و يسر مالها ويذم عيبها ويمدح غيبها وكان يقال الامين يصحب الملوك باللزوم على الخدمه والمبالغة في النصيحة والخائن يصحب الملوك بحسن المداراة وافراط التذلل وكان يقال انما

يسعد النصحاء بالملك اذا كان مؤيداً بفضيلة العقل فان لم يكن كذلك
شقي به النصحاء وسعد به ذوو الملق وهذا لان الناصح ينفق على من نصح
له من عقله وبالعقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللؤم ان تضن بالنصح
عمن سمح لك بالثقة وان تستر الصواب عمن هتك لك حجاب سره
وكان يقال اولى العقلاء النصحاء بقبولك منه واقبالك عليه من كانت
سعادتك شرطا في سعادته وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه
لك سعي لنفسه وذبه عنك ذبه عنها ثم قال جلس لبهرام انه قد سأني تبرم
ابن الملك وضجره لما لقي من خدمة ابيه الملك وانا اشير على ابن الملك
باظهار المسرة بما اظهر به التبرم والضجر اذا كان الملك قد استعمله على
عمل لابد للعامل فيه من اظهار البشر والطلاقة فان من صحب الملوك
بما لا يوافقها تحركت عليه بالغضب ولا ينبغي مع هذا ان تظهر مع ذلك
ما تبطن خلافه فان الرياء ينصل عن الطبع كنصول الخضاب عن
الشعر ولكن ليتامل ابن الملك القضية التي كرهها بعين العدل يظهر له
حسنها وذلك ان الملك استعمله على شرابه الذي هو جماع لذته وجالب
طربه ومسرته وراحة نفسه من نصب التدبير ومشقته ووكل اليه مع هذا
حراسة نفسه وصحته ورضيه لحفظها في مجلس خلوته ووثق بكفايته في
شرابه من بلية وافة يقصده بها اعداؤه من جهة الشراب او خلل يدخله
على غفلة السكر والاضطراب وكيف يصلح ان يعدل عن الولد النجيب بهذا

العمل العلى قدره العظيم خطره ام كيف تطيب نفس الولد الفاضل ان يرى اباه صارفا هذا العمل الى سواه فليصرف ابن الملك فكره الي ما ذكرته ليكون مايظهره من الغبطة بهذه الخطة راجعا الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه ولا يتخلق من ذلك بما يتمنى رفضه ولا يتبرم منه ما يستحب نقضه فيسم عليه ما اسره توسم الابصار وتكهن الافكار فانه كان يقال الرياء سراب يخدع الفطن القاصرة ولا يخفى علي البصائر الباصرة وكان يقال انما يبسط الرياء علي السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب فاما العقل فلا يبسط سلطان الرياء عليه لان الاول الاخر قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياه (ثم قال جلس) وقد فطن الدب علي بلادته لرياء القرد فقال بهرام اخبرني عن ذلك فقال جلس زعموا ان دبا كان يسرح في غيضة وكان في تلك الغيضة قرود فكان الدب يرى قوة القرود على رقي الشجرة والتطرف لاغصانها وتمكنها بذلك من اجتناء اطائب الثمرات فحدث نفسه بان يصيد قردا منها ليكلفه ان يجتني له الثمر فصعد شجرة والقى نفسه والقردة تنظر اليه وجعل يتضرر ويتخبط طويلا ثم تماوت فخفت وفتح فمه واخفى نفسه واجتمع القردة لرؤيته فقال لها حازم منها انه لايبعد ان يكون هذا الدب متصنعا خادعا وان الحزم ان يجتنب ويحذر منه فان لم يكن بد من الدنو منه فهلم نجمع حطبا وندوره حوله ونضرم فيه نارا فاذا كان

متصنعا افتضح وإن كان ميتا فلا ضرر في احراقه وإنه كان يقال عدوك ضد لك وحكم الضدين التنآي والتنافر والتباين والتدابر وكان يقال لا تطأ ارضا وطئها عدوك الا على توقف احتراس وتوقي افتراس فلا يغرك خروجه منها وبعده عنها وربما رتب فيها شباكا ونصب فيها اشراكا وكان يقال لا تغش عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك منه استلامه والقاؤه السلاح فما كل السلاح يدرك بالبصر فقد غر الراهب اللص بمثل ذلك فتم له عليه ما اراد فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال حكي ان راهبا فاضلا من الرهبان وكان متبتلا في قلاية له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة وكان النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها و يعطيها اهل الفاقة لزهده في الدنيا وكان لصا من اللصوص قد راي كثرة ما يخص به الراهب من الصدقات فحدث نفسه بان يتسور عليه قلايته وظن انه سيصيب عنده كنزا فتحمل ليلة من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في بيت تعبده فوجده قائما يصلي والسراج يزهر في البيت فصاح اللص في الراهب استاسر ايها الشيخ قبل ان القي عنك راسك فالتفت الراهب فراى اللص فاذا هو شاب شديد البنية في يده سيف مصلت فعلم انه لاقبل له به فقطع صلاته وفر بين يدي اللص الى ناحية من البيت في حائط طاق فادخل الراهب راسه في الطاق ورد يده الى خلفه كما يصنع المكتوف فلما راى

اللص ان الراهب قد استسلم وخبا راسه القى سيفه و وثب نحو الراهب
ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط في دهليز القلاية سقوطا اوهنه
فمكث على حاله لايجد محيصا عن الموضع الذي سقط فيه حتى اصبح فدل
الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في طريق الطاق
نقبا وجعل عليه طبقا ينقلب بلولب اذا اعتمد عليه وغطاه ببعض فرش
البيت فلما قصد الى الطاق هاربا بين يدي اللص خطر من ذلك
الموضع وتخطاه لمعرفته بموضعه فلم يضع رجله على الطبق واللص
لايعرف ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ بل عول عليه على ما ظهر من
استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له سلاحا لا يدركه البصر فلما
سمعت القردة المثل الذي ضربه لها حازمها وقفت عن الاقدام على
الدب وانتشرت تجمع الحطب لاحراقه فاتى غر من القردة لم يكن
حاضرا ذلك المرضع ولا سمع مقالة الحازم فدنا من الدب واصغي باذنه
الى انف الدب ليستمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من
عروق الخيزران فربط طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجرة
يجتني له اطايب الثمر ويلقيه اليه والدب يمسك بالطرف الآخر من
الخيزرانة فلبث القرد بذلك بقية يومه وسد عليه بابه بصخرة ولما اصبح
غدا على القرد فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة فجنى له الثمر
عامة يومه ثم راح به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد بلغ

مناه والقرد في اسوء حال واعظم مشقة يظل نهاره في خدمة الدب ويبيت
ليله في سجنه وكان يقال شهوات العاقل من وراء فكرته فاذا انبعثت له
شهوة مرت بفكرته فنظر في مباديها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الراى
وفكرة الاحمق من وراء شهوته فكلما انبعثت له شهوة مرت نافرة لوجهها
لايصدها شيءٌ وكان يقال انما صار يسير المؤنه المتحملة للعدو شاقا لان
الارواح تتحمل منها اضعاف ماتتحمل الابدان فيصير الاذى بها عاما
وليس كذلك المؤن المتحملة للحبيب لان الارواح تتلذذ بها وتستخدم
الابدان بها قيل ثم ان القرد تفكر في حاله فظهر له ان نصحه في خدمة
الدب يمنعه من الخلاص منه فندم على نصحه في خدمته وعلم ان لن ينجيه
منه الا الحيلة فطالت فكرته في ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة وكان
يقال اذا كان المملوك ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم لمالكه
وان لم يكن بهذه الصفة فان له فيه شريكا هو املك به من سيده وذلك
انه اذا كان متحرك الشهوة كان منقادا لطاعتها فاذا صحت فكرته اعملها
في طلب الراحة من النصب والخلاص من الاسر واقامة الحجج في الدفع
عن نفسه واذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد وتدبر بما
يريد لا بما يريده سيده (قيل.) وكان مما عول عليه القرد من الخديعة
للدب ان يتظاهر بضعف البصر فكان يلقي الي الدب من الثمر ما لا
خير فيه فزجره الدب عن صنعه فلم يزدجر وضربه فلم يرتدع فلما

طال عصيانه قال له اني قد سئمت من زجرك وضربك وقد حدثت
نفسي باكلك لانه لم يبق فيك منتفع وكان يقال اذا لم تجد للخدمة الا
من ساء ادبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك من
المشقة اضعاف مايحمل على بدنك فقال له القرد اني لست على ماتصفني
به من سوء الادب ولو قتلتني لندمت كما ندم الطحان حين قتل حماره
فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال القرد (حكي) ان طحانا كان له
حمار يطحن عليه وكان له زوجة سوء يحبها وهي تحب جارا لها وذلك
الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع منها فرأى الطحان في منامه قائلا يقول
له احتفر في موضع كذا من مدار الطاحونة تجد كنزا فحدث امراته
بذلك وامرها بكتمانه وكان يقال من زعم انه يجد راحة في افشاء سره
الى غيره فقد اتهم عقله لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه
اقل من مشقة الحذر من انتشاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال امران
يسلبان الحر كمال الحرية وهما قبول البر وافشاء السر وشرح هذا ان من
قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له والاحسان يرق الانسان
وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشائه نزلت النصب
له وكان يقال المرأة موهلة لبيت نفقه وطعام ترمه وولد [illegible] ومنزل
تدبره وشبق تسكنه او تثيره فمن اشركها في امره واطلعها على سره فقد التحق
بعالمها اذ ليس في قواها الالتحاق بعالمه قيل فلما حدث الطحان امراته

روياه اخبرت بها جارها الذي تهواه وتقربت بها من قلبه فواعدها
ان يطرقا الموضع ليلا ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجد الكنز
واستخرجاه فقال جار المراة لها كيف اصنع بهذا المال فقالت المراة
نقسمه نصفين بالسواء فينطلق كل واحد بنصفه الي منزله وتفارق انت
زوجتك واحتال انا في فراق زوجي وتتزوجني فاذا اجتمعنا على
النكاح جمعنا المال فكان بايدينا فقال لها جارها انا اخاف ان يطغيك
الغنى فتنكحي غيري وكان يقال الذهب من المنزل كالشمس في العالم
وكان يقال من بلغ من اليسار مافوق قدره تنكر لمعارفه وكان يقال
اليسار مفسدة للنساء لغلبة شهواتهن على عقولهن وكان يقال لا تسع
لولدك ولا لامرأتك ولا لخادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك
بقدر حاجتهم اليك . ثم قال لها بل الراى ان تكون جملة المال عندي
لتحرصى على التخلص من زوجك واللحاق بي فقالت له المراة اني اخاف
منك مثل الذي خفت مني ولست مسلمة اليك بحصتي من هذا المال
فلا تحسدني على حظي منه وقد اثرتك بالدلالة عليه وكان يقال انما
صار العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان لان الشكر انما
يجب لمن تفضل بحق هو له فاما من اعطى الحق اهله فهو محمود غير
مشكور فلما سمع مقالتها دعاه البغى والشره والحذر من نميمتها عليه فقتلها
والقاها في موضع الكنز وبغته الصبح فاعجله عن مواراتها واحتمل المال

وخرج ودخل الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشي خطوات ثم اعترض الحفيرة والقتيل بين يديه في المدار فوقف فضربه الطحان ضربا شديدا والحمار يتلوى ولا يمكنه التقدم والطحان لا يدري مابين يدي الحمار فاخذ سكينا ونخزه نخزات كثيرة ثم استشاط غضبه فطعنه بها على خاصرته فمرت فيه السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء راى الطحان الحفيرة ووجد امراته قتيلة فاستخرجها فراى اثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك المراة والحمار فقتل نفسه فلما سمع الدب مقالة القرد قال قد ظهر بما ضربت من المثل عذر الحمار فما عذرك انت فقال له القرد ان بصري قد ضعف واخاف ان يذهب بالجملة فان اردت ان تبصر في صلاحه فذلك بيدك فقال له الدب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال له القرد ان الاطباء لكثيرة ولكن العاقل لا يستطب لاله الا من كان عالما وان للقردة بهذا الارض طبيبا تصفه بالاجادة في الطب والزهد في متاع الدنيا واني لاستروح العافية من تلقائه فاجابه الدب الى ما اراد فقصد به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدهاء فلما بلغا اليه فر من الدب فصعد شجرة وكان الدب تحتها فقص عليه علة غلامه ورغب اليه في مداواته فقال له القرد الخبيث دعه يطلع اليّ حتى انظر الى عينيه فارخى له في الخيزرانة فصعد فجعل يتامل عينيه ويساله عن خبره فقص عليه خبره مع الدب وساله

ان يفتح له باب المكيدة في الخلاص من يده فقال له القرد الخبيث اني ساحمله على السهر واحتال لنفسك انتهاز الفرصة اذا نام وكن على حذر من ان يتناوم ليختبرك ثم انه امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث على الدب فقال له انه ينبغي ان اعرفك داء عبدك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء فاعلم ان القردة انما صغرت جسومها وقلت لحومها وتوقدت فطنها وفهومها لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت ليلها حظا من مساعيها وانه كان يقال لا يصح ان يقال في حد الجود انه سماحة النفس بالنفيس ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح بحياته التي لا يجد لها كفوًا ولا يصيب عنها عوضًا ثم قال القرد الخبيث للدب انك لما اخرجت عبدك هذا عما اعتاد ادخلت عليه الفساد كما صنع بالطائر الذي صيد لابنة الملك فقال له اخبرني عن ذلك فقال القرد (ذكر) ان ملكًا من ملوك اليونانيين كانت له ابنة تكرم عليه فهاجت بها المرة السوداء فادخلت عليها انواعًا من الامراض وبلغ بها الامر من الامتناع من الغذاء والدواء فاشار طبيبها بان تنقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان مورق وماء جار ففعل ذلك بها فرات في اليوم الذي نقلت فيه الى ذلك العلو طائرا فيه من كل لون قد نزل على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدًا عجيبًا بانواع من النغم المطربة فارتاحت الجارية لما رات وسمعت

من الطائر واستدعت الغداء وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع
من الطيور الحسنة لانه يحرك الشهوة والطرب جميعًا وتتظافر القوتان
ويفعلان فعل الادوية المركبة فانها انجح من الادوية المفردة واشد فعلا
قيل ثم ان ذلك الطائر اسرع بالذهاب ولم يعد يومه ذلك فظهر على
ابنة الملك القلق لغيبتهِ ولما كان الغداء عاود الطائر الدالية في مثل وقتهِ
بالامس فسرت ابنة الملك بعودتهِ فاستبشرت وارتاحت واكلت
وشربت وانصرف الطائر في يومهِ كما انصرف في امسهِ فعاودها القلق
لغيبتهِ وبلغ الملك خبرها في ذلك فامر باصطياد ذلك الطائر فاصطيد
وجعل في قفص واتحف بهِ ابنته فاشتد سرورها واغتذت وتداوت
ورأى الطبيب انتعاش قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم يعلم بامرها
مع الطائر وان ذلك الطائر لبث عندها اياما لايصوت ولا ياكل شيئًا
فاخذ حسنه في التغيير فعادت الجاريه الى سوء حالها وجعلت تذوب
لما نالها من الاهتمام بامر الطائر مضافا الى مرضها وعلم بذلك ابوها
فندم وكان يقال لاتكن تلميذًا لمن يبادر بالاجوبة عن المسائل قبل
ان يتدبرها ويتفكر فيما يتنوع عنها ويعد لدفع مايمكن ان يعرض لهُ على
جوابهِ ويلزمهُ خصمه من المناقضة لاصولهِ كما انك لاتستشر الغر الذي
لايتجاوز مبادي الاراء الى عواقبها ولكن تتلمذ الى من يفكر في الاواخر
قبل ان يجيب عن الاوائل كما تشاور المحنك المتدبر لبطون الامور

وظواهرها المطلع على مباديها وعواقبها قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت
حال الجارية اليه من الفساد عرف ان ذلك العارض طرا عليها فبحث
عنه فاطلع على قصتها في الطائر فاشار بان تنصب اشباك محيطة
بالبستان علوّا او سفلا فصنع ما اشار به ثم اطلق الطائر في البستان
فلما رجع الطائر الى ما اعتاده والفه راجعته صحته وصحت بذلك حال
الجارية ونقهت من مرضها · قيل لما قضى المثل قال له الدب قد سمعت
مقالتك ووعيت حكمتك فامرني بما فيه مصلحة عبدي هذا اطع امرك
فقال له القرد اني آمرك ان تتاخر عن مسرحك جزءًا من الليل فان
ذلك ذيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك ومهيج لنشاطك ومصلح للذة
منامك ومضاعف لمصلحة غلامك فشكره الدب على نصحه وانطلق بعبده
الى مسرحه فاجتنى له نهاره ذلك اطايب الثمر فلما جاء الليل اظهر القرد
نشاطا وفرحًا واجتنى له اضعاف ما يجتنيه ثمرات طيبات فلبث بذلك
صدرا من الليل ثم انكفاء به الدب الى المغارة فسجنه بها وغدا عليه
كعادته ولبث القرد اياماً يتظاهر فيها اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني
للدب اطايب الثمر على حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الى الثقة
بالقرد بل يتكهن عليه انه مراء متصنع خادع وكلما تزايد القرد من تصنعه
تزايد الدب من الريبة وانه ليلة من الليالي اراد الانصراف الى مأواه
فجعل القرد يماطله ويقول ههنا ثمرات طيبات فيتاخر الدب لما طبع

عليه من الشره والنهمه وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب نفسه ان يتناوم ليختبر القرد ويمتحن طبعه فتناوم وجعل يغط فما كذب القرد ان وثب هاربًا وجذبه الدب بالخيزرانة جذبة شديدة فانقطع ظهره قال فلما بلغ جلس الى غاية هذا المثل الذي ضربه لبهرام امسك عن القول فقال له بهرام ما ابهجني بقربك واقر عيني بما تفيدني من حكمك وتضربه لي من امثالك وتجلوه علي من ملحك ولئن بقيت الى ان تدول لي دولة لاجعلنك اول داخل عليّ واخر خارج عني وساروض نفسي بآدابك هذه مستعينًا بالله فسجد جلس ودعا له بنجح العمل ثم ان بهرام حور شهد والده ليلة من ليالي سروره وقد نضد النوار بين يديه فكان مثل الزرابي المخملة والتيجان المرصعة فتذكر بهرام ايامه عند النعمان في الخورنق وانتجاعه الرياض الانيقه وشربه فيها على الازاهر الى ما كان يتنعم به من مباكرة الوحوش في غابها والتفكه بطرادها واصطيادها فاطرق واستولت عليه الفكرة وعبس وتنفس الصعداء وابوه يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استفاق ونظر الى ابيه وعلم انه كان يراقبنه فاسقط في يده ولم تمض الا ساعة حتى قبض الملك بشره ونكس راسه فنهض كل من يحضر من الندماء وسماره وكانت تلك عادة لملوك الفرس اذا عبس الملك بهم واطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى قائمًا على خشية وسكون وكان ليزدجرد مضحك ظريف اللسان لطيف الفطنة حسن الابتداع

جيد البديهة حلو النادرة فحضر ذلك المقام وفطن للامر الذي ينكره
الملك وان ذلك لما كان من عبوس ولده واطراقه في مجلس المسرة
فحدث ذلك المضحك نفسه بان يحسن الى بهرام ويصطنع عنده يدًا فيحتال
له بحيلة يخلص بها من غضب الملك وبينما هو يناجي نفسه بالحيلة في
ذلك رفع الملك راسه فنظر اليه كانه يحركه على ان يصنع شيئًا فيه سلوة
له فسجد المضحك ثم جثا على ركبتيه وقال ان العبد الذليل يستاذن الملك
في ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه بهرام كالآذن له فقال
المضحك ان العبد كان في حداثة سنه كلفا بالنساء مفرط الشبق اليهن الا
انه كان ملولاً لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امراة
هام بها وتهالك في حبها وكان يقال من اتبع لحظه هواه ادحضه واهواه
وكان يقال كن من عينيك على حذر فربما جنوح حين جناه جموح عين
وكان يقال ما احرى الملول بان يحرم المامول وكان يقال السامة من
اخلاق العامة لا من اخلاق الخاصه وكان يقال المتنقل من خلة الى خله
كالمتنقل من ملة الى ملة ثم قال المضحك وان العبد دخل بلاد السند
فبينما هو يطوف ببعض مدنهم راى امراة لم يرَ قبلها مثلها في حسن الصورة
وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولباقة الاشارات وسحر الطرف وتالف
الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى موطئ قدميه من الدهش حتى بلغت
منزلها ولزم العبد باب منزلها ليلاً ونهارًا فارسلت اليه تستعفيه من

لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكا العبد الي رسولها ما يلقاه من
الشغف بها واعلم الرسول انه لا معدل عن بابها وانه مستميت في طلبها
فلهت عن العبد مدة ثم اعادت الرسول اليهِ فردة العبد اليها بمثل
كلامهِ فارسلت الى العبد تقول انى اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك
لاسرعت الي مساعدتك واني متزوجتك بشرط الوفاء فان غدرت بي
اهلكتك بعد ان انكل بك نكالا يضرب بهِ المثل فان لزمت هذا
الشرط فاقبل واقدم والا فانج بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص
وكان يقال اربعة ترفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب
طبيبه فيما يصف له من دائه ومن تعاطي مالا يستقل باعبائه ومن بذل
ماله في لذاته ومن اقدم على ما حذر من آفاته وكان يقال من اوضح و بين
فقد نصح وزين ومن حذر و بصر فما غدر ولا قصر وكان يقال من
بصرك فقد نصرك ومن وعظك فقد ايقظك قال المضحك فالتزم العبد
الشرط واعطي من نفسه المواثيق على الوفاء فتزوج العبد المراة و بلغ منها
امنيته ولبث معها مدة فزارتها ترب لها فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه
اليها فتبعها العبد الي منزلها وجعل يراسلها ويلازم بابها فتبرمت منه
وشكته الي امراته فعاتبته امراته على ذلك وزجرته واذكرته المواثيق
والعهود ونهته فازداد العبد لجاجا فلما رات ذلك منه سحرته فصار
اسود اللون مشوه الخلق والوجه وجعلت تستخدمه في كل مهنة فما شغله

ما هو فيه عن ان هوى امة سوداء فجعل يتبعها في طرقها ويتعلق بها ويؤذيها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امراته التي سحرته وكان يقال انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المؤدب لان الطبع اصلي وتملك القوى الناشئة معه فهو املك بالنفس التي هي محلة لاستيطانه اياها وكثرة انواعه بها والادب طارئ على المحل غريب به وكان يقال اضل المؤدبين سعيًا من رام من المتأدب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه واثر عنده من مؤدبه لكن المؤدب الماهر من طالب المتأدب بستر المذموم من طباعه وتعميته والتورية عنه قال المضحك فلما بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد غضبها عليه فسحرته فصار حمارًا فكانت تكريه ممن يستعمله في اثقل الاحمال فلبث بذلك مدة طويلة ولم يشغله ما هو فيه من البلاء عن ان هوى اتانًا فاشتد شغفه بها وكان كلما راها نهق وطلبها اشد الطلب ويرد عنها بالضرب فلقي من ذلك بلاء شديدا واتفق ان امراة العبد الذي سحرته زارت ابنة ملك المدينة فكانت معها على علوّ لها تشرف منه على ما حواله وكان العبد في ذلك اليوم قد استاجره شيخ ضعيف البدن كبير السن فاحتمل عليه اواني فخار في جوالق ومر به على قصر ابنة الملك فراى عند القصر تلك الاتان التي يهواها فما ملك نفسه ان نهق وقصدها وفعل ما يفعل الحمير مثل ذلك وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط عن

ظهره والشيخ صاحب الحمار يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان
والسفلة يعطعطون من كل جانب ومن كل جهة والاتانه فارة بين
يديه ترمحه وهو يطلبها على تلك الحال فرات ابنة الملك ذلك كله
فاعجبها واضحكها فقالت لها امراة العبد الذي سحرته يا ابنة الملك اني
اخبرك باعجب مما رايت من هذا الحمار قالت لها بلى فافعلي قالت انه
زوجي وقصت عليها القصة وخبر العبد فاشتد تعجبها مما سمعته وسرت
به وسالتها ان تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فاجابتها الي ذلك واطلقت
السحر عن العبد فعاد بشرا سويًا ولم يكن له هم الا الفرار من بلاد السند
قيل فلما انتهى المضحك من حديثه الى هذا المبلغ سكت وقد كان الملك
يزدجرد اشتد ضحكه وعاوده الوقار اقبل على المضحك وقد اكفهر له فقال
له ويحك ماحملك على ان تكذب هذه الكذبة الشنعاء كانك ما علمت
انا نحظر الكذب على رعيتنا ونعاقبها عليه وقد قالت الحكماء الكذب
كالسموم التي تقتل اذا استعملت مفردة وقد تدخل في تراكيب الادويه
فينتفع بها ولاينبغي للملك ان يطلق الكذب الا ان يستعمله في المصالح
كالكذب في كيد الاعداء وفي تالف البعداء كما لا ينبغي ان تطلق
تلك السموم التي ذكرناها الا للمامونين عليها المانعين لها من المفسدين
فقال المضحك ايها الملك ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة
المرتاض به والذي حملني علي ذكره امر يلزم ستره عن غير الملك فاشار

الملك الى جلسائهِ فقاموا وخرجوا عن مجلسه ثم قال للمضحك هات ماعندك فقال المضحك ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقــال الملك لمن قال لابنة الاصبهبد ومعنى هذا الاسم وزير الوزراء فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة مايدل على صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يضع من نفسه بمحبة ابنة حافظ ملكنــا وسيد اوليائنا وسيبلغ ولدنا امنيته ونحسن اليك باطلاعنا علي امره فاكتم ذلك حتي ينفذ امرنا فيه ثم ان يزدجرد اذن لولده وسماره وندمائه ومطربيــه الى العود فعادوا الى مجلسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد سروره وطربه الي ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام واخبره بالخبر علي وجهه فشكر له ووصله ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام ابنة الاصبهبد ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتي انقادت لما اراد منها فلبث بذلك الي ان قدم اخ لقيصر علي يزدجرد ساعيًا في الصلح والهدنة والموادعة واكبر يزدجرد قصده وعرف له فضيلته واحسن نزاله فلما راى بهرام منزلة اخي قيصر عند يزدجرد استشفع به عنده في رده الي النعمان فشفعه واذن لبهرام فتحول الي بلاد العرب فكان فيها على ما احب الي ان هلك ابوه و ورثه ملكه قال محمد عفا الله عنه هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان نذكر مايكمل بهجتها وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث رعيته بعده وكيفية مصير الملك

الى ابيه بهرام وذلك فيما ذكره المعتنون باخبار ملوك الفرس ان يزدجرد
لما كثر عسفه واشتد عتوه وذاك في رعيته من ذوي الصلاح فدعوا
الله تعالى على يزدجرد وسالوه ان يريحهم منه فرحم الله ضراعتهم واستجاب
دعاءهم فبينما يزدجرد جالس في منتزه له اذ دخل عليه حاجبه فاخبره
ان فرساً متوحشاً عرياً قد جمع محاسن صفات الخيل وهو في صورة لم يرَ
الراؤن مثلها جاء يشتد عدوا حتى قام بباب الملك وان الناس يهبونهُ
فلم يجترئ احد علي ان يدنو منهُ وان الخيل قد نافرتهُ فما تقدم عليهِ
فاستخف يزدجرد ماسمعهُ من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينهُ
ملئ اعجاباً ودنا منهُ فخضع لهُ الفرس فمسح بناصيته ووجهه وقبض
بناصيته وامر باسراجه والجامه فالجم واسرج فيقال ان يزدجرد استدار
بالفرس ومسح كفله فرمحه رمحة خر منها ميتاً وملا الفرس بسرجه عدوا
فما عرف اين توجه ويقال بل ركبه يزدجرد وحركه فسبق الابصار حتى
اتى البحر فاقتحم به فيه والله اعلم اي ذلك كان ولما راى الفرس ان
الله سبحانه قد اراحهم منه اجمعوا على ان يخرجوا الملك عن ولد يزدجرد
خوفاً من ان يسن فيهم مثل سنة ابيه لهم فملكوا رجلا من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضياً عندهم فمحا ماشرعه يزدجرد من
المظالم واعفى الفرس من جميع ماكرهوه فعرف الفرس بركة رايهم في تمليكه
عليهم وانتهى الخبر الى النعمان فاطلع عليه بهرام واخبره انه عاضده وناصره

وباذل نفسه وماله في مرضاته فشكر له بهرام وامره بشن الغارات على
اطراف بلاد الفرس مع الكف عن سفك الدماء فامر النعمان العرب
بفعل ذلك ففعلوا فاشتد ضررهم فارسلوا الى النعمان يستشفعونه
ويسالونه العفو والعود الى حسن المجاورة فلما انتهى الرسل الى النعمان
قال لهم انما انا خادم الملك بهرام افعل ما امرني فيه فاذهبوا اليه فذهبوا
اليه فلما عاينوه ملاء قلوبهم وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين فسالوه
العفو والصفح فاجمل خطابهم وبسط امالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم
انه حسن الراي فيهم موءمل اصلاح شأنهم وانه متوجه اليهم ليتولى
اخبارهم عن نفسه واقامة الحجه عليهم فليتأهبوا لذلك ثم صرف الرسل
مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتائب في كل كتيبة الف فارس
من انجاد العرب ثم سار فيهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف
فلم يكن له عند الفرس مدفع حتى انتهوا الي دار الملك فنزلوا بظاهرها
فخرج اليه زعماء الفرس وحفظة دينهم فنصب لبهرام كرسي يجلس عليه
وقام النعمان بين يديه ونقدم اليه القوم فسجدوا له وقاموا لديه فاذن
لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذة فحمد الله تعالى وذكر رافته بخلقه ثم
ذكر ماسار به يزدجرد من الجور وما فعل الله به ثم اتبع ذلك بذكر
كراهية الفرس لتملك ولد يزدجرد لما يتخوفونه من سلوك سبيل والده ولا
سيما قد نشأ بين الاعراب الذين يصلحون جسومهم باخراب الارض

وسأله ان يعفي الفرس مما كرهوه فانهم لايملكونه طائعين ولا يقصرون في دفاعه عن ذاك بكل ما امكنهم فلما قضى رئيس الموابذة كلامه تكلم بهرام وحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده وصدق رئيس الموابذة لما نسب اليه يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما كان تمناه من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويذيق الرعية من حلاوة رافته واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واساءته ثم اعلمهم انه لايترك تراث ابيه ولا يالو جهدا في تحصيله وانه مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته بين اسدين ضاريين ويحضر هو وكسري المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج والزينة من بين الاسدين فهو بالملك اولى وذكر لهم انه انما يفعل ذلك رافة برعيته وصونًا لهم عن مقاومته ودفاعه وثقة بنصر الله له لما يعلمه من حسن طويته وخلوص نيته ورغبته في اصلاح الارض واهلها فرضي زعماء الفرس بما بذل لهم بهرام من نفسه ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في دفعه وانقلبوا عنه متعجبين من جماله وكماله وفصاحته وهيبته ثم عمدوا لاسدين ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر المدينة في قفصين من حديد وفي عنق كل واحد منهما سلسلة في طرفها وتد من الحديد فضربوا الوتدين في جهتين مختلفتين وجعلوا بينهما بقدر ما اذا خرج كل واحد من الاسدين فقصد الاخر بلغ اليه وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما بحيث يمكن كل واحد

من الاسدين الوصول اليها والذب عنها وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجا واجتمعت امة عظيمة واجتمع العرب فقاموا بازائهم فخرج بهرام من قبته وقد شد وسطه بمنطقته وجمع ذيوله اليها فقام بازاء الاسدين بين الصفوف ونادى كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتغلب على تراثنا عن ابائنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته من اهله فاجابه كسرى انك اولى بالتقدم الى ما اعطيت من نفسك لانك الداعي الى التبرع به ثم انك تطلب الملك بوراثة وانا غاصب فدنا بهرام من الاسدين ولا سلاح معه فلما راى رئيس الموابذة ان بهرام قد عزم على فعل ما بذل من نفسه نادى يا بهرام انك مستميت ولا اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انا جعلت على نفسي ذلك ولكن لرافتي بكم ولا بد من فعله فقال موبذان ان كنت فاعلا فتبرأ الى الله سبحانه بذنوبك وتب الى الله واستعنه فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله منها وساله العفو ثم دنا من احد الاسدين فلما قاربه راغ منه بهرام روغة ثم وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد فضم الاسد بفخذيه ضمة تبلد لها الاسد وفرج بين قوائمه ونبت بمكانه يلهث وقصده الاسد الاخر فانتهى اليه حتى الصق راسه براس الاسد الذي تحته ولم تمكنه السلسلة من التقدم فقبض بهرام على اذنيه وجعل يضرب براس احدهما الاخر حتى سقطا جميعا ميتين فقام بهرام قائما علي قدميه وحمد الله واثنى عليه وشكره على صونه وعونه

وازال ذيوله من منطقته وتناول تاج الملك فوضعه على راسه فناداه
كسري الذي كان الفرس ملكوه ليهن بهرام الملك ابن الملك ما اعطاه
الله من ميراث سلفه فكلنـــا له سامع مطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس
بالدعاء باسمه واخذ موبذان موبذ بيده واجلسه على سرير ملكه وشد
عليهِ زينة الملك وبايع له بالطاعة وتتابع زعماء الفرس علي ذلك وركب
بهرام ودخل المدينة ونزل بقصر ابيه وفرق الاموال في ذوى الحاجات
واهل النجدة وحبا النعمان وشرفه وتوجه واجاز العرب الذين صحبوه
باسرهم على اقدارهم ثم انه وفى لرعيته بمواعيد عدله واحسانه ولم يزل
محمودًا فيهم حتي هلك وقد دوّن له الفرس اخبارًا عجيبة اودعنـا
منها خبرين نادرين كتابنا المسمى انباء نجباء الابناء والحمد لله

السلوانة الخامسة

وهي سلوانة الزهد

قال ربنا تقدس اسمه مخاطبًا احلم من استخلفه في ارضيه واعلم
من كلفه بما يرضيه الذي كان عاضة على مايستكفيه وعاصمه فيما يبديه
ويقتفيه صلى الله علية وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان يكون
نبيًا ملكًا او نبيًا عبدًا فاختار فقر الملك على غنا الملك وانشدوا
في ذلك

قال له جبريل عن ربه خيرت فاختر ياولي الهدى
نبوة في حال عبدية تحوي بها القدح المعلى غدا
او حال تمليك تخر العدا بين يديه صغرا سجدا
فاختار ما يحظى به اجلاً لله ما اهدى وما اسعدا

(خبر نبوي) في زهد الملوك من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال ان ملكنا ممن كان قبلكم بينما هو في ملكه ادركه الخوف من الله سبحانه فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل فكان على شاطئه يضرب اللبن يعني الطوب ويقتات من ذلك فسمع الملك الذى كان بارضه بخبره فارسل اليه يقول كن بمكانك حتى الحق بك وترك الاخر ملكه ثم لحق به فكان امرهما واحداً الى ان هلكا وروينا بلفظ اخر قال عبد الله ابن مسود بينما رجل هو في موكبه تذكر فعلم ان ما هو فيه منقطع وانه قد شغله عن عبادة ربه فانساب من قصره ليلا وسار الى مملكة غيره فاتى ساحل البحر يضرب اللبن ويغتذي من ذلك فبلغ الملك الذي كان في مملكته فركب اليه وسار فقال له انا فلان صاحب ملك كذا وكذا علمت ان ما كنت فيه منقطعاً وانه قد شغلني عن عبادة ربي فقال ما انت ما صنعت باحق مني ثم خلى سبيل ملكه وتبعه فكانا يعبدان الله عز وجل وسالاه ان يميتهما جميعاً فماتا جميعاً قال عبد الله ابن مسعود لو كنت بمصر لاريتكم قبرهما بالنعت الذي نعتهما لنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم

منثور ومنظوم من الحكم الزهدية

روى ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين اعجبه ماصار اليه من الملك ياعمر كيف ترى ما نحن فيه قال يا امير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وفرح لولا انه ترح ولذات لولا انها تقترن بآفات وكرامه لو صحبتها سلامه فبكي سليمان حتى اخضلت لحيته بدموعه ومما قلته في ذلك

يامتبعـاً لـذة الحر ص في الفضول وكاده
لو حزت ماحاز كسري وما حوى وافـاده
مـا كنت الا معنى ومغرمـاً لزيـاده
لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهـاده
فرض على الزهد نفساً فانهـا خير عـاده

حذار حذار من دار هي شر دار حرامها سم ناقع وعذابها واقع وحلا لها نصب شاسع وامل واسع وقد قيل في ذلك

دنيـاك دار غرور ومتعـة مستعـاره
ودار لبس وكسب ومغنم وتجـا ره
وراس مالك نفس فاحذر عليها الخساره

ولا تبعها باكل وطيب عيش وشاره
فان ملك سليمان لا يفي بشراره

ومن قصيدة لي في مثل ذلك

انا بدار تردى محاربها وتخفر الآل في موادعها
وتستفز الحليم عن سنن ال قصد وتغبي على مخادعها
من رام ابقاءها عليه فقد حاول ماليس من طبائعها
اسرع ما تنتحي بوائقها يوماً اذا استجمعت لجامعها
فته عليها واربا بنفسك عن طلابها واقتناء تابعها
واشقق عصا بيعة الغرور لها وانبذ صراخاً الى مبايعها
عمري لقد انذرت مفيدة ناجعة نصحها لسامعها
مردية انها مودية لساعة آه من قوارعها
فالامن والله من فجائعها يضمنه الزهد في مطامعها

ومن ذلك

راعك الزهد انما الزهد لفظ لفضول تلهى وتطغي وتردى
ثم لا يمكن الزيادة في المقسوم رزقا بل من ضروب التعدي
مرحباً بالكفاف عفوا يقينا ثم لا مرحبا بحرص وكد
ها علمنا وقد راينا كثيرا وسمعنا من حاز جدا بجد
لا يزال الحريص يستاً من الحر ص بنصب من الشقاء وكد

ثم لا يستطيع ان يتعدى قدرا ما لحنه من مرد

قبل ان حرقة بنت ابي قابوس النعمان ابن المنذر استاذنت بالقادسية علي سعيد ابن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت في جواريها وعليها المسوح ومقطعات الثياب السود فراى منظرا شنيعا ولم شميز له حرقة من جواريها لمشاركتها اياهم في الزى وكن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن الحرقه فقالت الحرقه ها انا فقال انت الحرقه قالت نعم فما تكرارك استفهامي وكان قد سالها عن نفسها عند دخولها ثم قالت ايها الامير ان الدينا دار قلعة وزوال فما تدوم لاحد على حال تنتقل باهلها انتقالا بعد انتقال وتعقبهم حالا بعد حال وكنا ملوك هذه الارض يجيئ الينا خراجها و يطيعنا اهلها مدى الملك وزمان الدوله فلما ادبر الامر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذا الدهر ياسعد انه ليس من قوم اتحفهم بخيره الا اردفهم بضيره ولا اسعفهم بفرحه الا اعقبهم بترحه ثم انشدت

وكنا نسوس الملك والامر امرنا ... اذا نحن فيه سوقة ليس ننصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

فبينما الحرقة تخاطب سعدا رضى الله عنه دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على سعد فنظر الى حرقة فقال لها انت حرقة التي كانت تفرش لها الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن الوشي

منهُ وباتوا عشرين ليلة يناظرونه فيه ويهونهُ عن اظهار كراهيته فلما
راوا انه غير منته وانهُ لا بد لهُ من خلع نفسه دعوه الى ان يعهد الى
احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد تبعة عهدها ولو كنت
مؤثرا بها احدا لاثرت بها نفسي ثم انه خطب الناس فذكر لهم عجزه
عن القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته
وانصرف واغلق بابه ولم ياذن لاحد فاقام بذلك خمسًا وعشرين ليلة
ثم لحق بالله تعالى وقال علي ابن الجهم في ذلك من ارجوزة تاريخه

ثم ابنه معية المضعف كان لهُ دين وعقل يعرف
ودام شهرًا ثم نصف شهر وجاءه الموت عزيز الأمر
وترك الناس بغير عهد توقيا منهُ وفضل زهد

قال محمد عفا الله عنهُ كلام على ابن الجهم هذا يتضمن ان معاوية
مات ولم يخلع نفسه والمعروف ماذكرته وانما قال معية وهو معاوية لان
الناس استضعفوه لتركه الخلافة ولذلك كنوه ابا ليلي وهي كنيــة
المستضعف وبلغني ان السبب الباعث لهُ على الزهد في الخلافة والنبذ
لها انه سمع جاريتان لهُ يتلاحيان وكانت احداهما بارعة الجمال فقالت لها
لقد البسك جمالك كبر الملوك فقالت واي ملك يضاهي ملك الحسن
وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا فقالت لها الاخرى واي خير في
الملك وصاحبه اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذلك مسلوب اللذة

هدم القرار منغص العيش واما منقاد لهوائه مؤثر للذاته مضيع الحقوق
ومصروف عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت الكلمه في نفس سامعها
موقعا مؤثرا وحمانته على الانخلاع من الامرة

روضة رائقـــه ورياضة فائقه

قيل كان عدي ابن زيد العبادي التميمي قد دخل ارض الروم
رسولا لملك الفرس واقتبس من علومهم وقرأ الكتب وكان ذا مكانة
من ملك الفرس وكاتبا وترجمانا له وكان ابوه زيد واليا على الحيرة
وخليفة للمنذر ابن ماء السماء فكان عدي ابن زيد عند ملوك الحيرة
من لخم لاجل ماذكرناه في اعلى المراتب قالوا حضر يوما عند النعمان
ابن امرئ القيس ابن عدى ملك الحيرة وهو بالخورنق والخورنق قد
قدمنا ذكره فاشرف على ماحول الخورنق وذلك في فصل الربيع
فتأمل مليا ثم اقبل على عدى ابن زيد فقال ياعدى أكل ما ارى الى
نفاد و زوال فقال عدى قد علم الملك ان الامر على ماذكره فقال له
النعمان واي خير فيما يفنى ويبيد ثم مالبث أن تنصر وترهب وساح في
الارض وقيل بل كان محبيا بالزهر المسمي شقائق النعمان واليه ينسب
لانه كان يتبع رياضه ويحميه وانه قصد يوما من ايام الربيع غب سماء
منتزها قد كساه ذلك النور والشقيقة وملة مستطيلة فلما عاين ذلك
النور متنضدا في منابته وقنو حمرته وخضرته لسوقه وتموجه بهبوب النسيم

من رابت المنون اخلدن او من ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك ابوسا سان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الـروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحصن اذ بناه واذ دجـلة تجبي اليـه والخابور
شاده مرمرًا وجلله كلـسًا فللطير في ذراه وكور
لم يَهبهُ ريب المنون وباد المـلك عنهُ فبابه مهجور
وكذا رب الخورنق اذ أشـرف يومًا وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـلك والبحر معرضًا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غِبـطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والا مة وارتهم هنـاك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جـف فألوت بهِ الصبا والدبور

روضة رائقـه ورياضة فائقه

حكي ان ملكا من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات فاتتهُ قينة كانت قيمةله تلبسه ثيابه فالبسها ثم ناولته المراة فنظر فيها فراى شيبة في لحيته فقال هاتي المقراض ياجارية فأتتهُ فقص الشيبة فتناولتها وكانت اديبة لبيبة فوضعتها في كفها واصغت اليها اذنها ساعة والملك ينظر اليها ويتاملها معجبا فقال لها ما تصنعين فقالت اسمع لما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك

وكرهها فابعدها واقصاها فقال لها الملك ما الذي سمعت من قولها فقالت
زعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لايجترئ لساني علي النطق به لاتقاء
سطوة الملك فقال لها قولي امنة ما لزمت اسلوب الحكمة فقالت انها
تقول ايها الملك المسلط الى امد قصير اني كنت قبل ظهوري قد ظننت
بك البطش بي والاعتداء فلم اظهر على سطح جسدك حتى بضت
وحضنت بيضي حتى افرخت وعهدت الى بناتي في الاخذ بثاري عهدًا
وكان قد خرجن يعجلن الاخذ بثاري منك اما باستئصالك واما
بتنغيص لذتك وضعف قوتك حتى تعد الملك راحة فقال لها الملك
اكتبي كلامك هذا فكتبته له فتصفحه مرارًا ثم نهض مبادرا فاتى هيكلا
من الهياكل التي يعظمونها فنزع ملبس الملك وتزيا بزي اهل العبادة
ونساك الهياكل ولزم ذلك الهيكل وبلغ ذلك اهل مملكته فبادروا اليه
وطلبوه بالعود الى محل ملكه وتدبيره فامتنع عليهم وسالهم اقالته وتمليك
غيره عليهم فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصلح بينهم النساك ان يتركوه
في ذلك الهيكل يعبد الله ويستكفي بمن يستناب في مثل امور رعيته
و يلي الملك بنفسه في غيره فلبث بذلك الى ان هلك

روضة رائقـــه ورياضة فائقه

(بلغني) ان ملكًا من ملوك اللالان كان كافرا عاتيا متكبرا
شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم العزة وكان اذا ركب لم يستطع

حد ان يرفع صوته الا بالثناء عليه والمدح له والشكر لاحسانه وكان له
وزير نصراني مؤمن يكتم ايمانه ولا يتخير وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك
الى الله فركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض شانه فقال
الاعوان خذوه فلما اخذوا الشيخ قال ربي الله وحده فصرخ الوزير
اشرط خلوا سبيله فخلوا عنه فاشتد غضبه على وزيره ولم يمكنه الانكار
عليه في ذلك المقام لئلا يظهر للناس ان الوزير يخالفه فيما يامره به
وسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امر بما اراده الملك فلما انصرف الملك
الى مستقره احضر الوزير فقال له ما دعاك الى مناقضة امري بحضرة
من عبيدي فقال الوزير ان لم يعجل الملك اريته وجه نصحي واشفاقي في
حفظي عليه فيما اتيته فقال له الملك ارني ذلك فاني لا اعجل عليك فقال
اريد ان يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون بحيث يرى ويسمع من
حجابه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير احضر قوسا صنعها للملك بعض
خدمه وكتب الصانع اسم نفسه عليها فناولها غلاما بحضرته وقال للغلام
اني محضر صانع هذي القوس فاذا حضر واقبلت عليه بالمحادثة فاقرا
الاسم الذى على القوس جهرا حتي تعلم ان صانعها قد سمعك ثم اكسره
ثم حضر القواس وفعل الغلام ما امره به الوزير فلما كسر القوس
تمالك صاحبها ان ضرب الغلام فشجه فقال له ويحك اتضرب غلامي
بحضرتي فقال القواس ان القوس عملي ايها الوزير وهو في غاية الحسر

والجودة فلأي شي كسرها فقال الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال بلى
لقد اخبرته القوس بانها عملي فقال له الوزير كيف تخبره القوس فقال
هذا خطى عليها وقد قرأه وانا اسمعه فصرف الوزير القواس ثم اقبل على
الملك فقال له قد راى الملك وجه نصحي له واشفاقي عليه بما كان مني
والملك لما اراد ان يسطو على الشيخ اخبره ان الله ربه فخفت على الملك
أن يبطش به رب الشيخ وليس يقوم لبطشه شيء فقال الملك للوزير وهل
للشيخ رب غيري فقال الوزير الم يره الملك شيخًا والملك شاب فهل كان
هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لارب له فقال الملك لا بل كان ابو الملك
ربه فقال مابال المربوب بقي بعد هلاك ربه فقال الملك للوزير لقد
قدحت في كبدي بزند غير صالدة ولقد علمت الان أنه يجب ان يكون
للمالك والمملوك رب لايزول فهل تعرفه فتدلني عليه فقال الوزير نعم
اني اعرفه اني تعرفت اليه بنعمته والائه حتى عرفته فقال الملك ادللني
عليه لاكون لك تبعًا مابقيت فقال الوزير اما دلالتك عليه فاول مايجب
لك علي واما اتباعك لي فان فعلت انما تتبع عبدك الذي يقيك بمهجته
ما يريبك ثم ان الوزير تلطف في دلالته على الله سبحانه وشرح الله صدر
الملك لقبول ذالك فآمن بالله سبحانه ثم قال لوزيره اما لربنا خدمة اذا
احسنها عبده حظي بذلك عنده فقال الوزير بلى ان له وظائف على
عباده أمر بها خلقه ورضي لهم فعلها ووعدهم عليها رضوانه والقرب منه

وذكر الصلوة والصيام وغير ذلك من شرائع المسيح عليه السلام فجعل
الملك يرتاض بها ثم قال للوزير مالك لاتدعو الناس الى الله كما دعوتني
فقال الوزير ما معناه ايها الملك ان الملاء من اهل مملكتك امة ذات قلوب
قسية وفهوم قصيه ونفوس عصيه ولست آمنهم على دمي ان تنوه لهم
بذلك في فقال الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال الوزير
ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته عني لم تردهم عنه وساجعل نفسي وقاء
لنفسه وانهم سيقتلونني لامحالة فلا يجترئ الملك عليهم بمثلها بعدي ثم ان
الوزير استدعى الى داره وجوه تلك المملكة وذوي تدبيرها وولاة
احكامها واهل النسك والحلم منها فلما اجتمعوا اليه في داره قام فيهم خطيباً
بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا اليه فقتلوه ثم صاروا الى الملك فاخبروه
بما كان من الوزير ومنهم وقالوا انا ظننا ان الملك على مثل رايه ونحب
معرفة ماعندك فارضاهم بالقول وداهن لهم وصوب رايهم في قتل الوزير
فانصرفوا راضين عنه وفل مالبث ذلك الملك ان نبذ ملكه ولحق
بالرهبان وكان معهم الى ان توفاه الله عز وجل

روضةٌ رائقه ورياضةٌ فائقه

قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد له في حداثة سنه وبدوّ
امره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشاه رائع الصورة بارع الخلق فشغف به
ازدشير حباً والزمه فيلسوفاً ماهرًا في الفلسفة راسخاً في الحكمة متحابيا

بالزهادة وساله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقتطعه الفيلسوف عن ابويه وولي تربيته وتدريبه الى ان اضطبع باعباء علوم الفلسفة وتبوأ مثوى الزهد ولما سعي ازدشير بضم كلمة الفرس وتم له المراد واعطاه ملوك الطوائف القيادة استمد رأى ولده بابك فيما نابه من المهمات وظفر منه باضعاف امنيته الا انه كان لا يشاهده ويشافهه الا نغص اليه لذته وبغض اليه الدنيا تصنيفًا لمعايبها وتعريفًا بشوائبها وتخويفًا من عواقبها فكان ازدشير متنغص اللذات بولده لاجل ذلك وكان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا بد يتكرهونه وكان يقال قل مايتوفر فكر الملك على امر واحد حتى يطول عنايته به على انفراده وذلك لكثرة ماتجاذب خواطره من الامور حتى اذا توفر فكره على امر واحد واجتمع له اوشك ان يحكمه فاذا رايته اجتمع لامر واحد وتوفر عليه فلا تتعرض له بغيره فتحول بينه وبين الفرصة التي يقل ظفره بها قيل وكان ازدشير يحتمل ذلك لولده شغفًا به وتألفًا له وابقاء عليه فقال له يوما يابابك اتعرف اباك فقال بابك ايها الملك السعيد ان لي ابوين ابا كان علة كوني وابا كان علة بقائي وانا بهما عارف فقال ازدشير صف لنا اباك الذي كان علة كونك فقال بابك مامعناه انه ملك ملاء العيون بهاء والاسماع ثناء والصدور هيبة والقلوب محبة ورافة شاملة وقضية فاضلة وسيرة عادلة وحزما خاف قلوب المريبين من اجسادها وسيوفهم من اغمادها وامن المريدين من

السباع الضارية من نهش انيابها والافاعي الحاوية من سمها واحقادها فالاجساد والاشباح رق لسيفه وحزمه والارواح لسيبه وحلمه فقال ازدشير يا بابك صف لنا اباك الذي كان علة لبقائك فقال بابك ما معناه انه حكيم عرف فضيلة نفسه فكرمها وعنى بها فخدمها فقال ازدشير اخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه فقال بابك ما معناه انه تامل نفسه فرآها ارضا اريضة بكل خير خليقة ذات مياه نابعه واشجار طالعه واثمار يانعه وظل ظليل ونسيم عليل الا انه الفاها ماوى لاسد الغضب ونمور الجهل وذياب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب الحسد فنفى عنها هذه الآفات كلها وحصنها منها فصارت خيرا محضا لا شر فيه فلما سمع ازدشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد فيه فساءه ذلك ثم اقبل عليه فقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا قاهرا فقال بابك ما اجدر الملك السعيد بالصدق واحراه بالاصابة ولكن ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثل الرب القاهر والمربوب المقهور فقال ازدشير هات ما عندك فقال بابك ذكران فيلا كان مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد لذلك الملك فيل وحشي فعسرت على السواس رياضته وتعذر عليهم تانيسه فراوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الاديب الانيس ليانس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك

وازداد نفارا وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع له ليذل فنال منه الجهد وان الفيل الربيب الانيس خلا به يوما فقال له لقد جنيت على نفسك شرا واسات النظر لها بجهلك ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل مافعلت ولكنه كان يقال العزة باب تحجب الالباب عن صوب الصواب وكان يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك لتهوره وفساد تصرفه وكان يقال لاتمنح كرامتك غير طالبها كما لاتنكح كريمتك غير خاطبها فقال الفيل الوحشي للفيل الربيب ما الذي يراد بي فقال يطيب علفك ويستعذب موردك وينظف سكنك ويوكل بك خدمة يكلؤنك ويراعون شونك ويجعل لبروزك اوقات معلومة منتظرة يحتشد الناس لها فتجلل بالديباج ويضرب بين يديك بالآلات التي تهيج الطرب وتبعث على الاختيال ثم تبرز مكرما معظما لا تعارضك دابة ولا يهب عليك للهون هابة فقال الوحشي للربيب لا خفيت ما ذكرت فنزع عن توحشه ونفاره وتاتي لما يراد منه فنعم وكرم وقدم وعظم ولما حل يوم الزينة بولغ في تكرمته وتنظيفه وجلل بالديباج وشد على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع والخود وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دارع بيده كلاب والبست فنطسته الزرد وشد على طرفها قائم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه من عن يمين وشمال بايديهم عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت بين

يديه الطبول والصنوج وسار على تلك الحالة حتى بلغ المراد منه فلما عاد الى ماواه قال لذلك الفيل الربيب قد بلوت حقيقة ما حدثتني به ورايت زيادات احببت ان اسالك عنها قال ماهى قال ماكانت تلك الاثقال التي حملت على ظهري فقال الربيب اولئك المقاتلة على سرير مزين ومعهم الات القتال قال فما الذى سترت به فنطستي والذى صير على طرفها وما اراد القابضان على نابي والراكب على عنقي فقال له الربيب اما الذى سترت فنطستك فدرع يحصنها لانها مقتل وان الذي ربط اليها فسيف تضرب به العدو واما لقابضان على نابيك فانهما يذبان عنك الاعداء ويعينانك على الاقدام واما الراكب على عنقك فيهديك الوجه الذي يراد منك سلوكه فقال الفيل الوحشى لامر ما طيب علفي واستعذب موردي ونظف بدني ومسكني ونوه باسمي وجمل ملبسي وانى لارى امرا لايقوم خيره بشره ولا يفي نفعه بضره و بعد فلاكونن احرص الحراص على الخلاص وانه كان يقال ليس بحمد من انقاد للذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من عني بغير نفسه فقد بسط عليها ضره واستنبط لهاضره وكان يقال اذا كانت الحاجه تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته فالناس عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا كانت العبدية كناية عن خدمة المعبود والحاجة اليه فاعبد العبيد ثلاثه الملك والمحب والمنعم علية لاستيلاء العبودية

علي ظاهرهم و باطنهم والملك اعبد الثلاثة وذلك لان الرعية تستخدم
باطن الملك وظاهره في تاديبها وتدبيرها وصونها من عدوها وسد
ثغورها والاعداد لما ينعشها من الجدوب ولما يحضها في الحروب وحماية
فضول اموالها وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب هيجها وازاحة
علل فتنتها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك الى رعيته في صون نفسه
وتنفيذ امره وإمحاض نصحه ودفع عدوه فلما سمع الفيل الرئيس مقالة
الوحشي تبين له انه اولى منه بالعزه والتهور وفساد التصور وقال بحق
كان يقال الجهل يحجب العيان ويقلب الاعيان وكان يقال لايزال
المخطى مرجوا مالم يخامره الاعجاب بخطيئته فاذا عجب حجب ثم قال
الوحشي اني اكافيك على نصحك اياى وتبصرك لي بان افتح لك باب
الحيلة في نجاحك لاني ابصرك باخلاق الانس وعاداتهم واهدى الى
وجه الخلاص منهم وساتبعك فاكون خادمًا لك مابقيت ثم انهما اتفقا ان
يتظاهرا بالرجز وهو داء يصيب الابل والفيلة في اعجازها فاذا قامت
ارعدت افخاذها حتي تكاد تسقط فتعالج بالفصد وتحمل علي السير الهون
فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما واخرجوهما الى
الصحراء فسيروهما فلما بعد الفيلان عن العمارة وامكنهما فرصة الهرب شردا
ولحقا بالفيلة الوحشية فهذا ايها الملك السعيد مثل ماذكرت لي فلما
وعي ازدشير مقالة ولده بابك اطرق مغمومًا مفكرا في امره وقد

يئس من اجابته الى ما يريد منه ثم انه نهض وامر بابك باتباعه فاتبعه حتى ادخله بيوت امواله ومستودعات ذخائره فجعل يريه اياها وينبهه على مزاياها حتى اتى على اخرها ثم اقبل عليه فقال له يا بابك لمن نترك هذا انتركه لمن هو احب اليك من نفسك واحق به منك فقال ان اذن لي الملك السعيد ضربت لك مثلا فيه جواب ما سألني عنه فقال ازدشير هات ما عندك في ذلك فقال بابك ذكر ان راعي بقر كان يرعى على اهل قرية فيحسن لبقرهم السراح والمراح فلبث بذلك مدة طويلة من الزمان وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما يعرفونه من بركة سعيه وتثمير رعيه وكانوا لا يسالونه عن شي من امر بقرهم التي اسلموها اليه في رعيه رضى به وطمانينة الى امانته وكفايته وكان يقال الموثوق والامين بالمودة قمين وكان يقال الاحسان والامانة خلقان بكل لسان موصوفان نافقان عند كل انسان قيل وكان الراعي ياوى عند المقيل الى صومعة راهب يقيل في ظلها ويكثر التاوه لما يناله من النصب فيما يعانيه وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامرته له رقة فاطلع عليه يوماً فقال ايها الراعي مالي اسمعك تكثر الانين والتاوه فقال الراعى ذلك لما اتجشم من حفظ هذه البقر والذب عنها وتتبع المراعي الخصبة لها فاني اقوم بذلك بما يعجز عنه غيرى واحمل على نفسي المشقات في حصوله فقال الراهب وما الذى دعاك الى الاضطرار لذلك والاضرار بنفسك في اصلاح

سواها ونفسك اقرب اليك واحق بسعيك فقال الراعي لولم افعل ذلك
لما بلغت هذه من السمن والوفور ماترى ولقد كانت يوم وليت امرها
قليلة العدد كثيرة العجف نكبة الضروع لا تزين فناء ولا تملاء اناء فقال
له الراهب لقد حدت عن مسالتي حيدة من لم يولها اقبالا ولم يلق لها
بالا انما سالتك عن سبب حملك على نفسك لغيرها وايثارك من سواها
بخيرها فاخبرتني بشديد عنايتك وسديد اغتباطك فاخبرني الان عما
افادك جد سعيك وشديد رعيك فقال افادني الغنى بهذه البقر لاني
آكل من لحوم ماسقط منها ماشئت واطعم من شئت واتصرف في
البانها وغير ذلك من منافعها تصرف المالكين وانتجع لها الارض حيث
شئت فهي على الحقيقة لي فقال الراهب له هكذا زعم راهب كان ذا بله
ثم صح عنده بطلان زعمه فقال الراعي اخبرني عن ذلك فقال الراهب انه
كان شيخ مترهب مرقي في سياحته بدير كان حسن البناء فتثلمت حيطانه
وهو بمكان طيب نزه وبين يديه ارض اريضة ذات ماء عذب وفي ذلك
الدير نفر من ضعفاء الرهبان ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي
البدن جلدا فاصلح ماتثلم من جدر الدير وعمر الارض التي عنده واحتفر
سواقيها وغرس اشجارها واجرى فيها مياههـا وغرس فيها صنوف
الاشجار فدرت منافع الدير وقصده الرهبان فاوطنوه وسادهم ذلك
شيخ واتخذ العبيد والدواب والة عمارة الارض واستضاف الى ارض

ما جاورها وغرس فيها من الكروم والزيتون واللوز شيئاً كثيراً فعظمت المنافع وكثرت الجباية ورغب الشيخ في جمع الدنيا فحرم المساكين واتخذ كنزا نفيساً في اقرب مكان وكان يقال المال كالماء فمن استكثر منه ولم يجعل له مسرباً يتصرف فيه على مازاد على قدر الحاجة غرق به وكان يقال المواساة في المال والجاه تعود ببقائها ولما عامل الراهب السائح ومن عمر معه هذا الدير بالحرمان واستاثر دونهم بالمال اكثروا شكايته فكثرت المقالة فيهم واجترا عليه من كان يهابه وافضت الحال بينهم الى مكاشفته ثم دعوه الى الانصاف والمواساة فيما بيديه فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي كسبته بكدي واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا له بل هو مال الله ولكل واحد منا فيه حق ولك الفضل علينا بتنميته وصونه فقال لهم ستعلمون مال من هو ولما جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الف دالية والف زيتونة والف لوزة فاصبحت مصرعة في ابشع شيء فاتوا السائح فاخبروه بما حدث في البستان وهم لا يعلمون انه الفاعل فزجرهم وقال لهم انه مالي فلا عليكم منه بقي او ذهب فعلموا انه عمله فبادروا فضربوه واهانوه ثم طردوه فخرج من الدير على الحالة التي دخله عليها فلما حصل بظاهر الدير سرح طرفه فيما كان عمره وغرسه فراى منظراً رائعاً فتنفس الصعداء متحسرا على ذهاب شبابه وقوته وريعان عمره فيما لم يجد عليه طائلا ثم كانت عاقبته الى مزايلته والانسلال منه على حال

اهانة وفاقة وضعف فقال بحق قالت الحكماء الدنيا سبيل تعبر ولا تعمر
وممر سالك لا مقر سادك وقيل الدنيا جسر من عبره باعتبار افضى به الى
قرار ومن عبره باغترار افضى به الي دمار وتبار ودثار وقيل قريب سلبها
من سلمها وخطفها من عطفها والعاقل في اهلها من استعد لحيلها وليس
الاستعداد كذلك الا للتاهب لبغيها المكتوم وفراقهـــا المحتوم
فالاستكثار منها نقيض ذلك وقيل ان الخروج من الدنيا مالا تطيب
به نفس ولكن قد يتهيأ رياضة النفس عليه باستشعار الزهد في الفاني
والاستكثار من العمل النافع في الاجل وقيل التنعم في الدنيا يضاعف
حسرة زيالها ويوكد غصة اغنيالها ثم ان الراهب السائح عاد الى
سياحته فقلما لبث ان هلك قال فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم
ما ضربه له من المثل واستبصر فيما تضمنه من الحكم قال له جزيت من
ناصح خيرًا فقد ادبتني وجليت عن فطنتي صدا غراتي فقال الراهب
قد اوضحت لك من غلطك في دعوى ملك ما استرعيته وائتمنت عليه
وكشفت لك ما سترعنك من قبيح جهلك على نفسك لغيرها معتاضًا
عن ذلك اعواضا قليلة واغراضا مستحيلة فاردد البقر الى ملاكهـا
واعمل في خلاص نفسك من السباع الضارية والافاعي الجاريـه
والكلاب العاويه والعقبان المختلسه والشياطين الموسوسه والاشراك
الخاتلة والسموم القاتلة لتنجو من البوار وتعلو على عالم الانوار فلما انتهى

بابك من امثاله الى هذه الغايــة امسك عن القول فاطرق ابو
اردشير متاملا ماتصرف به من المقال وضربه له من الامثال ثم
نهض مضطرب البال مضطرم البلبال وخرج بابك من فوره
وساح ولم يعلم اين طاح قال عبد الله الفقير الى ربه الغني به
محمد بن ابي محمد بن ظفر عفا الله عنه اني والحمد لله قد
انهيت بغية ما اردت وانا اعوذ بالله من عذاب
الاعذاب كما اعوذ به من حجاب الاعجــاب
واستكفيه عول السوال كما استعفيــه
عن غول الجواب واستدفع به فساد
الخطاء كما استدرئ به كساد
الصواب واتوب اليه
انه الرحيم
التواب

يقول مصحح طبعه · وجاني ثمار ينعه · ابراهيم بن علي الاحدب الطرابلسي · انهله الله من رحيق شرابه القدسي · اما بعد حمد الله على الائه · والصلاة والسلام على صفوة انبيائه · وآله الاطهار · وصحبه الاخيار · فهذا كتاب سلوان المطاع · في عدوان الاتباع · لم آل جهداً في تصحيحه · وتهذيبه وتنقيحه · حتى لاح غرة في وجه الدهر · وعقداً في جيد دمية القصر · فليس لكليلة ودمنة رقة معانيه · ولا للصادح والباغم اطراب امثال مبانيه · ولما نجز طبعه · واكمل وضعه · ولاح بدر تمامه · وبرز في جيد الحسناء على منصة الكمال عقد نظامه · قرظته بما انشات · وقلت في تاريخه وانشدت

احطت غادة فصل القناع * فلاح البدر مرتفع الشعاع
واطربت النفوس بما نعتت * على لحن المثاني في السماع
ام الطبع البهي جلا كتابا * سلوان المطاع دعاه داعي
كتاب قد حلاه جميل طبع * يعوق بطبعه وشي اليراع
فاين كليلة منه ودمنه * فتلك لديه من سقط المتاع
معانيه لها في السمع وقع * حليل لا يمل لدى استماع
رياض بدائع تسلي المعنى * عن المحبوب في حال اجتماع
على الكتب القديمة فاق طبعا * ورق معانيا ذات انطباع
فقلت بمدحه ارخ تهنى * رقيقا طبع سلوان المطاع

سنة ١٣٠٠